
التاريخ
فكرة ومنهجا

التاريخ

فكرة ومنهجا

دراسة في التاريخ وأصول بحثه

تأليف

الدكتور عبد الله الفياض

أستاذ التأريخ الإسلامي

كلية الآداب - جامعة بغداد

وعميد كلية أصول الدين وكالة

مصدر الفهرسة	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC	D13 .F39 2020
المؤلف الشخصي	الفياض، عبد الله، ١٩١٧-١٩٨٤ - مؤلف.
العنوان	التاريخ فكرة ومنهجا : دراسة في التاريخ واصول بحثه/
بيان المسؤولية	تأليف الدكتور عبد الله الفياض، أستاذ التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة بغداد
بيانات الطبع	الطبعة الاولى.
بيانات النشر	كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ٢٠٢٠ / ١٤٤٠ للهجرة.
الوصف المادي	١٣٢ صفحة ؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر	(العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٧٠٦).
سلسلة النشر	(مركز كربلاء للدراسات ؛ ١٣٤).
تبصرة عامة	يتضمن ملاحق.
تبصرة ببليوجرافية	يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ١٢٧-١٣٠).
مصطلح موضوعي	التاريخ.
مصطلح موضوعي	التاريخ عند المسلمين.
مصطلح موضوعي	التأريخ - طرق بحث.
مصطلح موضوعي	البحث.
اسم هيئة اضافي	العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مركز كربلاء للدراسات. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية





الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
مركز كربلاء للدراسات والبحوث

الكتاب: التاريخ - فكرة ومنهجا - دراسة في التاريخ واصول بحثه
المؤلف: د. عبد الله الفياض
الناشر: مركز كربلاء للدراسات والبحوث
الطبعة: الأولى
السنة: ١٤٣٩ هـ / ٢٠٢٠ م

جمهورية العراق/كربلاء المقدسة

00964 7719491210
00964 7814187625

www.c-karbala.com
info@c-karbala.com
karbala.center1@gmail.com
karbala.center1@yahoo.com

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد (٢٧٠٥) لسنة ٢٠١٤م





المقدمــة

يبحث الكتاب الذي نقدمه للقارئ في التاريخ بصفته فرعاً من فروع المعرفة، كما يبحث في أصول البحث التاريخي بصفتها وسيلة يستخدمها الباحثون لتمكنهم من كتابة التاريخ بصورة صحيحة ومعتمدة، وعرضت المعلومات التي تضمنها الكتاب بطريقة أرجو ان تساعد الطلبة المبتدئين على فهم ماهية التاريخ ؛ وان تمكنهم من الإلمام بالقواعد العامة لأصول البحث في التاريخ ؛ كما أرجو أن يساعدهم الاستئناس بتلك القواعد؛ وبما أوردته من آراء متواضعة حول التاريخ، وتدوينه، ومنهج بحثه، في إعداد مقالاتهم الصفية أولاً، وربما خلال بحوثهم المتقدمة حين يكتبونها بعد انخراطهم في الدراسات العليا ثانياً.

وقد يكون من المفيد أن اشير هنا إلى أن أغلب المعلومات الواردة في هذا الكتاب مستمدة من بحوث العلماء المحدثين بعامة، والغربيين منهم بخاصة، ولكنني مع ذلك استفدت مما كتبه العلماء المسلمون القدامى في هذا الباب وخاصة في مجال تدوين التاريخ ونقد الرواة والمرويات، وأشرت فضلاً عن ذلك إلى ما أوردوه من قواعد قليلة ذات صلة بالتاريخ وأصول البحث فيه، وخاصة ما ورد منها في كتابات ابن خلدون والسخاوي.

وكان بحثي لمعظم الموضوعات آنفة الذكر استعراضياً ومقتضباً أما التفصيلات فيجدها القارئ في مظانها[1].

---

(١) هورس، جوزيف، قيمة التاريخ، ترجمة نسيب الخازن (بيروت، ١٩٦٤م)، الدوري، عبد العزيز وآخرون ؛ تفسير التاريخ (بغداد، د، ت) مرغو ليوث، د، س ؛ دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسين نصار (بيروت، د، ت)، شلبي، أحمد ؛ كيف تكتب بحثاً أو دراسة (القاهرة،١٩٥٤م) زريق،

واعتمدت التبسيط فيما كتبت ليلائم كتابي هذا مدارك المبتدئين من الطلبة وغيرهم ممن لم يمارسوا كتابة التاريخ طبقاً لأصول البحث الحديث.

وقسمت كتابي هذا الى قسمين أو بابين [1] رئيسين، وقسمت الأبواب أو الأقسام إلى فصول تناولت في الباب الأول منهما: تعريف التاريخ، ثم أشرت إشارة عابرة الى تفسيره، ثم اتبعت ذلك بفصل عن تدوين التاريخ عند المسلمين، وخصصت الفصل الذي يلي ذلك للكلام عن طريقة البحث التاريخي(Historical Method) أما الفصل الرابع من هذا الباب فخصصته للكلام عن النقد الخارجي والداخلي للوثائق التاريخية، وتطرقت في آخره لذكر آراء طائفة من الكتاب المسلمين القدامى في النقد.

أما الباب أو القسم الثاني من الكتاب فقسمته إلى فصول تناولت في كل واحد منها مشكلة من مشكلات منهج البحث أو أصول البحث التاريخي.

وفي الختام نشكر الجهات المعنية في كلية أصول الدين لاهتمامها في رعاية العلم بما في ذلك تعضيد التأليف والنشر. كما نرجو أن يكون في كتابنا هذا فائدة لطلبة كلية أصول الدين ولأمثالهم من طلبة العلم والله ولي التوفيق.

عبد الله الفياض

بغداد – في

٢٦ / ١٠ / ١٩٧٢

قسطنطين ؛ نحن والتاريخ (بيروت،١٩٥٩م) روز نتال، فرنز ؛ مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة أنيس فريحة (بيروت،١٩٦١م) ؛ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (القاهرة،١٣٤٩م)، (Kent , Sherman , Writing History New York , 1941).

(١) إن اصطلاحي (باب) و (مبحث) مستعملان بكثرة في كتب السلف، ولكننا آثرنا استعمال المصطلحات الحديثة لأنها أقرب الى ذهنية الطالب.



الباب الأول

الفصل الأول

تعريف التأريخ

وقبل إيراد تعريفات المؤرخين المسلمين القدامى للتأريخ نود أن نشير الى أننا لم نستهدف من إيراد تلك التعريفات دعوة الطالب لتبنُّنها كلية، أو تطبيق مفاهيمها بصورة كاملة حين يتصدى لكتابة التاريخ حسب الطريقة العلمية المعتمدة لدى المؤرخين المحدِثين، بل أن هدفنا من إيرادها، وإيراد الكثير من معلومات السلف عن التاريخ ينحصر في أن يُكوِّنَ الطالب لنفسه فكرة عن مفهوم المؤرخين المسلمين القدامى للتأريخ أولاً، والإستفادة مما يجده نافعاً بين ثنايا تلك المعلومات [ثانياً].

إن تحفّظنا آنف الذكر لا يعني أن المؤرخين المسلمين لم يولوا عناية كبيرة لتحقيقاتهم التاريخية، أو انهم لم يسهموا في تقدم الصناعة التاريخية ؛ أو أن موضوع التاريخ لا يؤلف أحد الفروع الغزيرة – المادة – في الفكر الإسلامي العام، بل يعني أن التأريخ عندهم نشأ وثيق الصلة بالحديث، وارتبط ارتباطاً كبيراً في الأدب، الأمر الذي جعله يرث أدواءً لا يستطيع تشخيصها إلا المهرة من المؤرخين العلماء.

وسنورد فيما يلي طائفة من تعريفات الكتَّاب المسلمين للتأريخ:

لا يورد الطبري تعريفاً محدداً للتأريخ، بل يشير الى أن موضوع التاريخ: هو الماضي، ويبين أنه تناول بتأريخه المعروف تاريخ الملوك الماضين، وجملا من أخبارهم، وأزمان

الرسل والأنبياء، ومقادير أعمارهم، وأيام الخلفاء والسالفين وبعض سيرهم ومبالغ ولاياتهم، والكائن من الأحداث في أعصارهم [١].

أما ابن الأثير فهو الآخر لم يورد تعريفاً للتأريخ، بل يتناول فوائده الدنيوية، ويرى: إن الإنسان إذا طالع كتب الماضين، وحوادث المتقدمين، وكأنه عاصرهم [٢].

ويصف القرماني التأريخ بأنه: علم، فيقول: إن علم التأريخ: هو الإخبار عن الكائنات السابقة في العالم، فهو السبيل الى معرفة أخبار من مضى من الأُمم [٣]، ويمكن أن يُعدُّ تعريف القرماني للتأريخ بأنه أقرب الى التعريفات الحديثة للتأريخ كما سنرى عند إيرادنا لطائفة منها.

ويقول ابن خلدون عند كلامه عن التاريخ: وكأنه - التاريخ - علم مستقل بنفسه، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري، والاجتماع الإنساني وذو مسائل، وهي بيان مما يلحقه من العوارض والأحوال[٤]، ثم يضيف ابن خلدون الى ما سبق فيقول: إن التاريخ يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولتهم وسياستهم[٥]. فابن خلدون يجعل موضوع التاريخ دراسة الماضين، ويبين أنه معنيٌ بدراسة العمران البشري، والاجتماع الإنساني.

ومن أشهر الكتّاب المسلمين الذين تناولوا موضوع التاريخ هو: محمد بن عبد

(١) تاريخ الرسل والملوك (القاهرة، ١٩٣٨م) ج١: ص ٤.

(٢) الكامل (ليدن، ١٨٦٦م) ج١: ص٤.

(٣) أخبار الدول، طبع على حاشية الكامل لابن الأثير: ١/ ٣-٤.

(٤) المقدمة (بيروت،١٨٧٩) ص٣٠–٣١.

(٥) المقدمة: ص٨.

الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ) في كتابه الموسوم بـ (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ)[١]، وبعد أن يورد السخاوي معنى التاريخ في اللغة يقول: إنه يعني في الاصطلاح: (التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة، والأئمة، ووفاة، وصحة عقل، وبدن ورحلة، وحج، وحفظ، وضبط، وتوثيق وتجريح، وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم، وحالهم، واستقبالهم، ويلحق به ما يتفق من الحوادث، والوقائع الجليلة، وربما يتوسع فيه لبدء الخلق، وقصص الأنبياء، وغير ذلك من أمور الأمم الماضية، وأحوال القيامة، والحاصل: أنه فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين، والتوقيت عما كان في العالم).

ثم يتكلم السخاوي عن موضوع التاريخ فيجعله: الإنسان، والزمان، وعن فائدته فيجعلها: معرفة الأمور على وجهها، وأن من فوائده إيجاد الطرق التي يعلم بها النسخ في أحد الخبرين المتعارضين المتعذر الجمع بينهما [٢]، ثم يضرب أمثلة عن الأخطاء التي وقع فيها أصحاب كتب الرجال، والسير، والمؤرخين[٣]، ثم يشير الى جلالة علم التاريخ وأهميته [٤].

ويبدو مما أورده السخاوي عن التاريخ، وعن موضوعه: أن الكاتب يمزج بين التاريخ والحديث رغم ما بينهما من تفاوت حسب مقاييس العلماء المحدثين من المعنيين في هذين الموضوعين، وأن السخاوي شأنه شأن الغالبية العظمى من المؤرخين المسلمين القدامى ينظر الى التاريخ بأنه لا يقتصر على البحث في أعمال الإنسان على الأرض كما

(١) طبع الكتاب المذكور في دمشق سنة ١٣٤٩ هـ.

(٢) السخاوي، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: ص٧.

(٣) السخاوي، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: ص٨-٩.

(٤) السخاوي، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: ص١٦.

يريده المؤرخون المحدثون، بل أنه يشمل قصص الأنبياء، وبدء الخليقة وما الى ذلك من قضايا ذات علاقة بالأديان السماوية.

يضاف الى ذلك أن السخاوي يجعل دراسة الحديث وما يتعلق برواته من جرح وتعديل، وصحة ورحلة، وما الى ذلك جزء من دراسة التاريخ.

وبعد أن استعرضنا طائفة من تعريفات الكتّاب المسلمين القدامى للتاريخ نورد طائفة أُخرى من تعريفات الكتّاب المحدثين من مسلمين وغيرهم.

يعرِّف كارل بيكر التاريخ - نقلاً عن كنت - بأنه:(معرفة الأشياء التي قيلت وتلك التي عملت)(١).

أما الدكتور عبد العزيز الدوري فيقول - في صدد كلامه عن التاريخ والحاضر:

(ومن هنا تباينت الاتجاهات في تعريف التاريخ، فهناك من يراه البحث عن الحقائق الثابتة وتدوينها، وهي نظرة تغلب في القرن التاسع عشر، وهناك من يعتبره تفسير الحقائق وربطها، فالمؤرخ يختار الحقائق، أو بالأحرى يبحث عن حقائق معينة، ويجمعها هذه هي مادته الأولية، ثم يكسبها مفهومها التأريخي، وفي الحالين يكون المؤرخ محور الموضوع، وهناك من يؤكد الصلة بين المؤرخ وحقائق التاريخ، فالمؤرخ دون حقائق لا جذور له، والحقائق دون مؤرخ مجردة من الحياة والمعنى، فالتاريخ: هو عملية متصلة للتفاعل بين المؤرخ وحقائقه، أو حوار متصل بين الماضي والحاضر)(٢).

ويرى الدكتور زريق عند كلامه عن لفظة التاريخ وما يكتنفها من لبس: بأن هذه

. Kent , Sherman , Op. Cit , p. 1 (1)

(٢) الدوري، عبد العزيز وآخرون، المصدر السابق: ص٣.

اللفظة تطلق تارة على الماضي البشري ذاته، وتارة على المجهود المبذول لمعرفة ذلك الماضي وراوية أخباره، أو العلم المعني بهذا الموضوع، ويقترح الدكتور زريق أن نطلق كلمة التأريخ (بالهمز) على دراسة الماضي، والتاريخ بالألف اللينة على الماضي ذاته [١]. ويتبنى الدكتور زريق التعريف التالي للتاريخ، وهو أن التاريخ: هو السعي لإدراك الماضي البشري وإحيائه [٢].

وبعد أن عرضنا تعاريف التاريخ القديمة منها والحديثة نورد الميزات العامة للتاريخ، وطريقة تدوينه كما تبدو من تعاريف المؤرخين المسلمين القدامى، ثم نتبعها بما يماثلها عند المؤرخين المحدثين من مسلمين وغيرهم.

أولاً: إن تعاريف المؤلفين المسلمين القدامى تمثل في الغالب وجهة نظرهم التقليدية التي تعد التاريخ أنه تاريخ الأُمة الإسلامية، وتوسَّع بعضهم في نظرته للتاريخ فعدَّه إنه: تاريخ الشعوب الموحدة فقط لا تاريخ البشرية بما فيهم غير الموحدين.

وترى الجماعة آنفة الذكر أن مجرى التاريخ الإسلامي هو المجرى الرئيس في التاريخ العالمي، ولذا كان اهتمامهم مقصوراً عليه، وهم إن نظروا إلى سواه فمن خلال أحداثه ومراحله الماضية والحاضرة، ويمثل الطبري النظرة السابقة الذكر خير تمثيل.

ثانياً: علَّلَ المؤلفون المذكورون نشوء الأحداث وتطورها في الغالب الأعم تعليلاً إلهياً، فدوافع التاريخ ليست ـ أو في الأقل ليس ـ أهمها وأبلغها فعلاً في يد الإنسان ومن صنعه، بل تحكمها مشيئة إلهية، وقوانين سماوية، وحياة الأفراد والشعوب على الأرض

---

(١) نحن والتاريخ: ص١٣-١٤.

(٢) نحن والتاريخ: ص٤٩.

ليست سوى مقدمة للحياة الحقيقية في العالم الآخر[١].

ثالثاً: أما من حيث أسلوب المعرفة التاريخية، فيلتزم كثير من أصحاب هذه المدرسة بتصديق أخبار السلف والركون إليها.

رابعاً: كانت آراء ابن خلدون في التاريخ وفي تفسيره تختلف عن النظرة التي كانت سائدة في عصره، وقد حاول ابن خلدون في مقدمته المعروفة أن يدرس العمران البشري، ويستخرج قوانين التطور الاجتماعي، ويضع للتاريخ فلسفة شاملة، ويستنبط منه قوانين عامة تسير عليها البشرية في تطورها، وبالرغم من إن ابن خلدون لم يطبّق جميع آرائه المتعلقة بنشوء الأمم وتطورها، وتداعيها، وأن طائفة من آرائه موضع نظر، فإنه كان يُعدُّ ذا بصيرة عميقة، ونظرة تتصف بالتدقيق، وإن بحثه كان شاملاً لعدة مجالات من النشاط البشري بما في ذلك النواحي السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، والفكرية.

وبعد أن استعرضتُ مفهوم أصحاب المدرسة القديمة للتاريخ أنتقلُ الى تلخيص آراء رجال المدرسة الحديثة عن موضوع التاريخ وتدوينه:

أولاً: يرى شوتول (Shot well): أن كلمة تاريخ يمكن أنْ تعني سجّلَ الحوادث، أو الحوادث نفسها، ثم يقول: كما إن علم الإجتماع يبحث في أحوال المجتمع، وعلم الحياة يبحث في علم الأحياء، يكون علم التاريخ باحثاً في التاريخ، ويرى إن مفهوم التاريخ بهذا المعنى حديث العهد، ولم يكن معروفاً لدى القدماء.

---

(١). ويرى أصحاب المدرسة الآنفة الذكر أن الإيمان مرتبط بالأخلاق، والأخلاق: هي القانون الذي يسير البشرية، وبها ترتبط سعادتها وازدهارها، كما يرتبط بها في الوقت نفسه شقاؤها وتفككها.

2. Shotwell , J , T. , History of History (New York) 1950 , P. 4, 5 .

3. Shotwell , J , T. , History. 4. Ency. Britannica. II , P , 5 .

ثانياً: إن الباحثين في شؤون التاريخ وطريقة بحثه يصبون اهتمامهم على المؤرخين، وعلى طرقهم في البحث، وعلى الأدوات التي يستعملونها في بحثهم، ثم على مشكلاتهم، ويتناول المؤرخ البحث في شؤون ما يعرف بصانعي التاريخ عندما يكونون موضوعاً لبحثه.

كما ينصب اهتمام المؤرخ على المعارك والمؤسسات عندما يريد إخضاعها لبحثه فقط، ولا يهتم بها لمجرد كونها حوادث تاريخية[٢]، ويلخص (شوتول) رأيه في التاريخ بقوله: إن كلمة التاريخ بمعناها الحديث تشمل جميع مظاهر الحياة البشرية، وفضلاً عن ذلك مظاهر الحياة الطبيعية[٣].

ثالثاً: تهتم المدرسة الحديثة عند بحثها في إسلوب المعرفة التاريخية بهذا العالم الأرضي، وبالعوامل البشرية، والطبيعية المسيرة للأحداث، وبالعقل والمنطق الى استكشاف الحقيقة بالملاحظة، والاختبار اللذان يخضعان كل شيء مهما قدم عهده، أو عظمت حرمته، لمحك الامتحان الدقيق، والنقد المحكم المتزن[(١)].

عرضنا فيما سبق طائفة من آراء المدرستين القديمة والحديثة حول التاريخ وكتابته، وكان عرضنا مختصراً ومبسطاً ليناسب مدارك المبتدئين من طلبة التاريخ، ورغبة في تقرير ما نراه حول ما ذكر من آراء نقول:

أولاً: إن التفسير الديني للتاريخ أمر له أهمية كما أنه جزء مهم من تراثنا الحضاري، ولا يصح والحالة هذه أن نهمله ونبني إهتمامنا به على تأكيد القرآن الكريم والسنة على دور العقل في تمحيص كل ما له علاقة في حياة البشر بما في ذلك موضوع التاريخ الذي هو موضع اهتمامنا في هذا البحث. يضاف الى ذلك أن طائفة من المذاهب الإسلامية جعلت

(١) زريق، قسطنطين، المصدر السابق: ص٣١.

للعقل سلطة كبرى في قبول أو رفض الأخبار والروايات الضعيفة مهما كان مصدرها.

ثانياً: نرى ضرورة الاستفادة من قواعد البحث والتحقيق عند المسلمين، وقد وضع علماء المسلمين قواعد مهمة في تحقيق الحديث سنداً ومتناً يجدها الباحث مفصلة في مظانها [١]، وكانت القواعد التي وضعها العلماء المسلمون لتحقيق الحديث على نصيب كبير من الاتفاق والتدقيق لذا قال (مرغو ليوث) عند كلامه على الحديث عند المسلمين (والمسلمون على حق في فخرهم بعلم الحديث) [٢].

كما أن علماء المسلمين وضعوا قواعد في أصول الفقه ساعدتهم على الاستنباط من جزئيات الفقه، وحادثاته الكثيرة العدد، وقواعد عامة تنظم سير هذه الجزئيات، وقد تصدى روزنثال الى بحث مناهج البحث عند المسلمين في كتابه الموسوم بـ (مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي) [٣].

ثالثاً: إن دعوتنا الى الاستفادة من قواعد البحث عند المسلمين لا يعني مطلقاً تقليلنا من أهمية القواعد العلمية الحديثة في البحث التاريخي، كما ان اهتمامنا بالتفسير الإلهي للتاريخ الذي لا تزال تعتمده طائفة محدودة من المؤرخين المحدثين، والذي كانت الأغلبية العظمى من المؤرخين المسلمين تعتمده فيما سبق لا يعني أيضاً عزوفنا عن

(١) إبن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، المقدمة (حلب ١٩٣١م) ؛ ابن جماعة، محمد بن إبراهيم، التذكرة، حيدر آباد الدكن (١٣٥٣هـ)؛ الشهيد الثاني، زين الدين العاملي، الدراية في علم مصطلح الحديث (النجف، د.ت)؛ البهائي، محمد بن الحسين (الوجيزة في الدراية) ضمن مجموعة رسائله عين الميزان، تح: محمد حسين كاشف الغطاء (صيدا ١٣٣٠هـ)؛ الفياض، عبدالله، الإجازات العلمية عند المسلمين (بغداد ١٩٦٧م)؛ القاسمي، جمال الدين، قواعد التحديث (دمشق ١٩٢٥م).

(٢) دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسين نصار (بيروت، د، ت) ص٣٢.

(٣) طبع الكتاب المذكور في بيروت سنة ١٩٦١م.

الإستفادة من التفاسير الأخرى للتاريخ [1] إستفادة كاملة. إن الإنفتاح الذهني والنظرة الموضوعية لما قدمته النظريات العالمية المعاصرة في تفسير التأريخ أمر بالغ الأهمية، إذ أنه يجنبنا أضرار الإنغلاق الفكري من جهة، ويساعدنا على الإستفادة مما هو نافع ومفيد من آراء الآخرين من جهة أخرى.

رابعاً: إن معرفة الأحداث وكما يظهر من التجربة والإختبار تتم بإحدى طريقتين: أولهما: الملاحظة المباشرة لتلك الأحداث خلال وقوعها، وثانيتهما: الملاحظة غير المباشرة، ويتم النوع الأخير من الملاحظة على دراسة الآثار التي خلفتها تلك الحوادث.

ومن الملاحظ اننا لا نستطيع معرفة الحقائق التاريخية إلا بصورة غير مباشرة، اي عن طريق الإستعانة بدراسة الآثار التي تتركها الحوادث التاريخية، ويترتب على ذلك أن المعرفة التاريخية هي معرفة غير مباشرة.

ولذلك يكون علم التاريخ ليس علماً مستنداً على الملاحظة، ولا تعرف حقائق الماضي إلا بالآثار التي تركتها والتي وصلت بدورها إلينا، وعلى هذا يكون الحصول على الوثائق نقطة البداية لدى المؤرخ، بينما يكون إيجاد الحقيقة التاريخية هي هدفه النهائي.

خامساً: تفيد كلمة تاريخ (History) البحث أو التعلم بواسطة البحث، أو المعرفة التي يتوصل إليها من طريق البحث، فالمعنى المستتر هنا هو الاستقصاء، والبحث،

---

(١) إن اهم التفاسير المذكورة هي: التفسير الإلهي، التفسير القومي، وقد وردت تفصيلات عن التفسير المذكور في فصل كتبه الدكتور عبد العزيز الدوري في الكتاب الموسوم بـ (تفسير التاريخ) المشار إليه فيما سبق: ص٦-١١، كما أورد الدكتور زريق معلومات عن التفسير نفسه في كتابه المذكور سابقاً: ص٣٢-٣٣، والتفسير الماركسي، وقد أورد الدكتور جعفر خصباك تفصيلات عن التفسير المذكور في كتاب (تفسير التاريخ) المشار إليه في أعلاه، والذي كان مشاركاً في تأليفه، ينظر: ص٣٢-٣٣، كما أورد الدكتور زريق معلومات عن التفسير نفسه في كتابه آنف الذكر، ينظر: ص٣٩-٤٠.

وطلب الحقيقة، وبهذا المعنى يكون التاريخ علماً وإلا فليس بشيء على الإطلاق.

ويبدو أن التأريخ بالمعنى المشار إليه في أعلاه لم يكن معروفاً بصورة واضحة ومحددة عند المؤرخين القدماء بما فيهم المؤرخين المسلمين، ولعل ابن خلدون أول من أشار الى المعنى المذكور، وتبعه المؤرخ (فيكو) الذي قرر: بأن التاريخ ما هو إلا حياة البشرية المتطورة عن طريق الانحطاط والانتعاش، وكل عصر من العصور مرتبط بما سبقه وبما تلاه من العصور.

وقد اجتهد الباحثون أمثال: نيبور، ودرويسن، ورانكه، وبنديتو كروتشي، وغيرهم لتحديد المعنى المذكور وتوضيحه.

سادساً: نختم الملاحظات العامة التي أوردناها في أعلاه برأي مارك بلوك عن التاريخ يقول بلوك نقلاً عن جوزف هورس: التاريخ في جوهره علم التبدل، وهو يعلمنا ان الحادث لا يتكرر كما هو، وان ظروفه لا يمكن ان تنطبق على ظروف حادث مماثل.

التاريخ يكشف خلال تطورات الإنسان نواميس وعناصر طويلة المدى إن لم تكن دائمة ومستمرة، وما ذلك إلا ليبين تنوعها وتفاعلها بأوضاع لا نهاية لها، ويكشف التاريخ بعض التجانس في المدنيات المختلفة، ولكنه تجانس في أركانها الرئيسة لا في التفاصيل، كما قد يتكهن عن المستقبل ولا أخال ذلك بالمستحيل على المؤرخ، فهو يتمعن في الفرق بين الأمس واليوم وبأسباب هذا الفرق، ويجد في المقابلة وسيلة للتنبؤ عن التناقض الممكن وقوعه بين الحاضر والمستقبل[1].

---

(١) هورس، جوزف، قيمة التأريخ، ترجمة نسيب الخازن (بيروت ١٩٦٤) ص١٠٨.

الفصل الثاني
تدوين التاريخ عند المسلمين

مر تدوين التاريخ عند المسلمين بمراحل عديدة، ويرجع تسجيل هذا النوع من المعرفة الى فترة أبعد مما تشير إليه السجلات المتوافرة عندنا، وكانت غالبية المجتمع العربي ما عدا أهل اليمن والحجاز والذي توافرت لدينا معلومات عنه مؤلفة من قبائل بدوية، وكانت هذه القبائل – وان لم ترتبط لنظام سياسي موحد – معنية بمعرفة الروابط التاريخية التي تربطها بماضيها وتلك التي تربطها بالقبائل الأخرى، وقد انتقلت التقاليد القبلية من جيل الى جيل بالمشافهة لأن العربي في هذا العصر لم يتعد دور الإنشاد، وهو نوع من الإنشاد الشفهي، أو من التعبير الفني الذي يستند فيه الخطيب، أو المنشد الى عناصر حسية، وخيالية، وموسيقية تقره في الأذهان معتمداً على ذاكرته، ثم على تأثر الحاضرين (١). وقد دونت هذه التقاليد في وقت متأخر، ومع هذا فهي المنبع الرئيس لمعلوماتنا عن العرب قبل الإسلام (٢).

---

(١) البستاني، فؤاد افرام، الشعر الجاهلي (بيروت ١٩٤٩) ص١٢.

(2) Lichtenstader, I, "Arabic and Islamic Historiography." the Moslem World, April, 1954, P. 126

ودراسة الشعر العربي القديم كانت من بين المحاولات التي اتخذت لتدوين حوادث التاريخ، ولا يعني هذا ان الشاعر كان ينشد شعره ليسجل التاريخ، كلا لأن الشاعر ليس بمؤرخ، والقصائد لم تكن تواريخ لم تبحث عن الحوادث بتفصيل تام بحيث تكون هذه الحوادث مسجلة تسجيلاً متقناً، ومحللة تحليلاً كافياً مع ربط علل هذه الحوادث وأسبابها.

والشعر مصدر مهم للعصر الجاهلي والأموي، وقد التفت ابن خلدون الى أهمية الشعر ودوره في احتواء المادة التاريخية فقال: (اعلم أن الشعر كان ديواناً للعرب فيه علومهم، وأخبارهم، وحكمهم، ويحرصون على استهداء أشعارهم يطلعون منها على الآثار، والأخبار، واللغة)[١].

وقد أورد ابن هشام في السيرة رغم اعتراض بعض المؤرخين على صحة جميع الشعر الذي أورده فيها، طائفة كبيرة من الشعر سجلت حوادث في الجاهلية والإسلام، وسجل الطبري في تاريخه، وابن عبد ربه في العقد الفريد، والجاحظ في البيان والتبيين، وغيرهم شعراً تضمن حوادث تاريخية مهمة.

ويعد الصحيح من الشعر الجاهلي أفضل مصدر عن الجاهلية، وذلك لأن معلوماتنا عن تلك الفترة قليلة، ولأن ما سجله المؤرخون المسلمون عنها لم يكن ذا قيمة تاريخية رغبة منهم في إظهار قيمة الإسلام[٢].

ويرى الأستاذ أحمد الحوفي: (إن الشعر الجاهلي الصحيح يصلح بمثابة مصدر

(١) المقدمة: ص٨٥٠–٨٥١.

(٢) الدوري، عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام (بغداد ١٩٤٩ م) ص١١.

لدراسة الحياة العربية من جميع نواحيها)[١].

وقد أورد مرغوليوث تفصيلات عن الشعر عند المسلمين بصفته أداة التاريخ، ونقل رأياً لطائفة من الكتاب يقول: (بأن الشعر هو المنهج القبلي لتدوين التاريخ، وينشد قدماء المؤرخين الأشعار الشاهدة على كبار الحوادث)، ثم قال: (ومن الطبيعي أن هذا المصدر للتاريخ الإسلامي القديم لفت أنظار النحاة، والمشتغلين بالآثار القديمة الذين غالباً ما تروي عنهم الأشعار، ولم يكن اهتمامهم اهتمام المؤرخ الذي همُّه الأول ما يعمله الناس، وإنما اهتمام الناقد الأدبي الذي يعنى أولاً بما يقولون، أو اهتمام الأثري الشغوف بمعرفة عاداتهم ومعتقداتهم) [٢]، ويبين مرغوليوث المشكلات التي تصاحب هذه الطريقة في تذكر الاشياء، وكان من بين تلك المشكلات أن أقوالاً تنسب كذباً الى الأشخاص الموصوفة أعمالهم، ويذكر على سبيل المثال: إن ابن اسحاق طلب من جماعة من الشعراء أن يكتبوا قصائد ليزين بها أخبار سيرة النبي ﷺ التي كتبها، وحتى في حال صحة القصائد كما في حالة القصائد التي نظمها الشعراء العباسيون ليمجدوا أعمال ممدوحيهم نجد طبيعة القصائد تجعلها لا تصلح لنقل المعلومات المفصلة والدقيقة.

ويقرر مرغوليوث أنه لا توجد في الشعر العربي القديم قصائد تصلح لأن تكون سجلات للحوادث أمثال قصائد مكولي (Macaulay) عن روما القديمة، ويقول: أنه من المعروف ان النظم العربي غير ملائم للإستمرار أو الإتصال، فالبيت وحدة مستقلة، وواهن الصلة عادة بما يسبقه، أو يعقبه، ولا يربط بينهما المعنى، بل الإتفاق في القافية والوزن، ومن ثمّ فالشعر الذي يعالج التاريخ القبلي وغيره في أحواله الإعتيادية تلميحي أكثر منه تأريخي، وقصصي ويرى إن المعلقات لا يمكن وصفها بأنها قصائد قاصة

(١) الحياة العربية في الشعر الجاهلي (القاهرة ١٩٤٩م) ج١: ص ٥٣ - ١٥٦.

(٢) دراسات عن المؤرخين العرب: ص٧٢.

(Ballad)، ولكننا نجد في دواوين الشعراء العباسيين ما يقترب من القصيدة القاصة أكثر من إقترابه من التلميحات العارضة.

ويضرب مثالاً على ذلك طائفة من قصائد البحتري، ثم يشير مرغوليوث الى وجود قصائد في الشعر العربي تشبه الحولية (Chronicle) المنظومة، ومنها: ارجوزة عبد الله بن المعتز التي تصف حياة المعتضد وعهده(١).

أما أيام العرب فلا تقل أهمية عن الشعر كمصدر لتاريخ العرب، والأيام عبارة: عن قصص يرويها العرب عن غاراتهم، وحروبهم قبل الإسلام، وقد تنوقلت تلك القصص من جيل الى جيل بحيث أصبحت جزء من تراث القبائل الثقافي.

وجمعت تلك القصص، ودونت في القرن الثاني للهجرة، وكان لغموض المعلومات وندرتها عن ماضي العرب في الجاهلية أثر في إهتمام الرواة بالقصص آنفة الذكر، وجمع الرواة قصص الأيام ونشروها كجزء من شروح الشعر العربي القديم، ومع هذا قد يبدو بعض الاختلاف بين ما ورد في بيت الشعر الذي أورده الشاعر، وبين ما تحتويه القصة التي تدور حول يوم من أيام العرب.

وقد وردت قصص أيام العرب في كثير من المصادر العربية، ومن أهمها: العقد الفريد الذي تناولها بصورة تفصيلية.

وتعد النقوش والكتابات من أهم المصادر لتدوين تاريخ العرب قبل الإسلام، والنقوش وثائق ذات شأن لأنها الشاهد الناطق الحي الوحيد الباقي من تلك الأيام، وتقسم الى قسمين:

---

(١) نفس المصدر: ص٧٧.

أ: نقوش وكتابات غير عربية تناولت فيها أوردته من معلومات ذكر العرب، ومن أمثلة تلك النقوش النصوص البابلية والآشورية.

ب: نصوص وكتابات عربية كتبت بلهجات مختلفة تعارف علماء العرب، أو المستشرقون على اعتدادها من لغات العرب، وقد عثر على طائفة من تلك النصوص في مناطق من البلاد العربية، أو في غيرها من البلدان.

وأغلب الكتابات التي عثر عليها يتناول في الغالب أموراً شخصية كإنشاء بيت، أو بناء معبد وما إلى ذلك، ويتطرق بعضها الى أحوال العرب السياسية، أو الاجتماعية، او العلمية، أو الدينية، أو النواحي الحضارية والثقافية الأخرى.

وبالرغم من قلة تلك النقوش، ومن اهتمامها في الغالب بالنواحي الشخصية، فإنها ذات فائدة كبيرة في تدوين تاريخ العرب الجنوبيين بخاصة، والبلاد العربية بعامة.

ومن أمثلة تلك النقوش التي عثر عليها:

أ – النصوص النبطية التي عثر عليها دوتي (Doughty) في شمال بلاد العرب.
ب– مجموعة من النقوش عثر عليها في جنوب بلاد العرب.

ومن أمثلتها النص الذي رقمه العلماء برقم (C.I.H.4334)، وقد كتب لمناسبة الحرب التي نشأت بين قبائل حاشد، وقبائل حمير في مدينة ناعط، ونص ذو رقم (C.I.H.4334) أمر بتدوينه أحد ملوك اليمن، ونص أبرهة الحبشي وهو يحوي كتابه مهمة تتألف من (١٣٦) سطراً يرتقي تاريخها الى سنة ٦٥٨ الحميرية أو ٥٣٤م. وقد كتب بلغة حميرية.

ومن أشهر العلماء الذين جمعوا النصوص الحميرية وحلوا رموزها المستشرقان هاليفي (Halevy) الفرنسي وغلازر (Glazer) النمساوي.

ج: كتابة عثر عليها في ظفار بعمان، ويعود عهدها الى القرن الثالث بعد الميلاد[١]، وقد بدأ البحث المنظم في تاريخ الإسلام في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة، وكتب إبن إسحاق (ت١٥٠هـ) سيرة الرسول ﷺ في تلك الفترة، ويشير السخاوي الى إن سيراً عديدة كتبت للرسول ﷺ ولكنها لم تصلنا بصورة مباشرة [٢].

وللأستاذة ليختنشتادر رأي عن سيرة ابن إسحاق تقول فيه: إن المؤلف تحدث عما قيل ضد الرسول ﷺ، وعن قتلى قريش بالروح التي كتب فيها عن الرسول والمسلمين، وحفظ بهذه الطريقة مادة تاريخية من طراز عال، ويستطيع المؤرخون المحدثون أن يفهموا عن طريقها حياة محمد فهماً جيداً[٣].

لقد نتج عن حركة التأليف التي نشطت في العصر العباسي طريقتان في البحث التاريخي أولهما: طريقة السير، ومن أمثلتها سيرة ابن هشام، والكتب التي تبحث في حياة عظماء المسلمين. ثانيتهما: طريقة تأليف الكتب الباحثة في التأريخ السياسي، ويمكن ان نضيف الى هذين الصنفين صنفاً ثالثاً تظهر فيه عناصر البحث التاريخي بالرغم من أن معظم مادته ترجع الى مصادر دينية، ويطلق على الصنف الآنف الذكر الحديث: وهو جمع أحاديث الرسول ﷺ، وقد ضرب المسلمون بسهم وافر في تحقيق الحديث سواء كان ذلك في تحقيق رواياته أو في مصطلحه.

واهتم المسلمون بدراسة رجال الحديث ونقدهم لمعرفة مدى صحة ما رووه من احاديث، وكانت دراستهم آنفة الذكر تتصف بالتدقيق وفيها إضافات رائعة وإسهام

---

(١) ينظر: علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (بيروت ١٩٦٨م) ج١:ص٤٤-٤٥؛ ومرغوليوث، نفس المصدر: ص ٣٤.

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: ص٨٨.

.OP. cit , P. 129 (3)

عظيم في دراسة تقدم طريقة البحث التاريخي وخاصة فيما يتعلق بالمتن والأسناد، واهتم علماء الحديث بوضع قواعد نظرية وتطبيقية، وبالرغم من ان الدراسات سالفة الذكر كانت من عمل المحدثين، وانها كانت مقتصرة بالدرجة الأولى على دراسة الحديث، فأنها كانت ذات علاقة وثيقة بالتأريخ لأن دراسة المتن والاسناد تتعلق في صميم الدراسة التاريخية بحكم كونها بحثاً في الماضي، يضاف الى ذلك أن كثيراً من المؤرخين كانوا محدثين فتأثروا بدورهم بطريقة المحدثين واستفادوا من أساليب المحدثين في دراسة التاريخ.

وأهتم علماء الحديث بدراسة رجال السند أو الرواة من حيث التعديل والتجريح، كما أهتموا بالمرويات وعدَّوا كل نقص فيها موجباً لضعف الحديث. قال ابن الصلاح (ت: ٦٤٣): (لقد انقسم التصحيف الى قسمين: أحدهما في المتن والثاني في الإسناد).

وأورد ابن الصلاح أمثلة لكل قسم من هذين القسمين. أما ما يخص التصحيف في المتن، فقال ابن الصلاح: (أما مثال التصحيف في المتن ما رواه بن لهيعة عن كتاب موسى بن عقبة إليه بإسناده عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ احتجم في المسجد، وانما هو بالراء احتجر في المسجد بخص أو حصير - حجرة يصلي فيها - فصحفه ابن لهيعة. ويورد ابن الصلاح أحاديث كثيرة في هذا الباب[١].

أما محمد بن عبد الله النيسابوري فهو الآخر يرى أن التصحيف كما يقع في الإسناد يقع في المتن إذ يقول: (إن هذا النوع منه معرفة التصحيفات في المتون، فقد زلق فيه جماعة من أئمة الحديث).

ويورد مجموعة من الأحاديث في هذا الباب [٢].

(١) المقدمة (القاهرة، ١٣٢٦) ص١١٥.

(٢) معرفة علوم الحديث، (القاهرة، ١٩٣٧ م) ص١٤٦.

وبالرغم من أن ابن كثير يؤيد من سبقه: في إن التصحيف يقع في المتن كما يقع في الاسناد يضيف أسباباً أخرى للتصحيف غير ما ذكروه فيقول:(وهذا التصحيف والتحريف قد يكون بالإسناد، أو في المتن، وقد يكون أيضاً من السماع لاشتباه الكلمتين على السامع)[١].

أما التصحيف في السند، فمثاله ما رواه ابن الجوزي من ان أحدهم حضر مجلس محمد بن القاسم الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، فصحف الشيخ محمد إسماً ورد في اسناد حديث، فأعظم المستمع أن يحمل عن مثل الشيخ الأنباري في فضله وجلالته وهم [٢].

وسنورد تفصيلات في موضع آخر من هذا الكتاب عن الوسائل التي اتبعها علماء الحديث لنقد الحديث سنداً ومتناً، وبالإضافة الى كتب السيرة توجد مجموعة مهمة من الكتب تضمنت معلومات ثمينة عن الرسول والصحابة والتابعين، ولعل أشهر هذه الكتب: هو كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد المتوفى في سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م.

ومن أشهر الكتب التي أُلفت في الفترة المذكورة: هو كتاب المغازي للواقدي، وأنساب الأشراف للبلاذري، وترى الاستاذة ليختنشتادر: ان كتاب أنساب الأشراف للبلاذري يعد بمثابة مرحلة متوسطة في تطور تدوين التاريخ عند العرب، وأنه كان يقوم على المفهوم القديم: وهو ان القبيلة تكون العمود الفقري للمجتمع العربي، وعلى هذا يكون التاريخ الإسلامي في هذا المؤلف قائماً على تاريخ العائلات النبيلة وأفرادها، وكانت النتيجة ان الكتاب المذكور لم يتبع تعاقب العصور، وأنه لم يبحث عن هؤلاء الأفراد تحت موضوع ممثليهم الرئيسيين، ولما كان هؤلاء ينتسبون الى عوائل مختلفة نجده

(١) أختصار علوم الحديث (القاهرة، ١٩٥١م) ص١٩٤.

(٢) المنتظم: ج٦: ص٣١٢.

يبحث عنهم في أماكن مختلفة من الكتاب، ويظهر لنا الاتجاه المذكور أثر التقاليد القبلية في تدوين التاريخ الإسلامي تلك التقاليد التي انحدرت عن أيام العرب، وبالرغم من كل ما سبق، فإن كتاب البلاذري ذو قيمة كبرى بالنسبة لنا (١).

وللأستاذ العبادي رأي في بداية التدوين المنظم عند المسلمين يقول فيه: إن أهل السيرة والأخبار رسموا في أواخر القرن الثاني الأبواب الأساسية للتاريخ عند العرب، وهي لا تعدو أموراً أربعة:

أولاً: أخبار الماضين

ثانياً: أحوال العرب قبل الإسلام.

ثالثاً: السيرة.

رابعاً: أخبار الدولة الإسلامية (٢).

وقد حصلت زيادة جوهرية في المادة التاريخية، وتدقيق وتحرٍّ في مصادرها منذ أوائل القرن الثالث الى أوائل القرن الرابع، فقد استقرت دواوين الدولة العباسية وتمهدت قواعدها وتمكن المشتغلون بالتاريخ أن ينتفعوا في صناعتهم، كما يؤخذ مما اشتملت عليه تواريخ القرن الثالث من عهود رسمية ومراسلات سياسية، وإحصاءات للمواليد والوفيات ومدد ولاية كبار رجال الدولة من وزراء وقواد وقضاة (٣) وعمال وولاة مواسم

---

(1) OP. Cit , P. 130.

(٢) العبادي، عبد الحميد، علم التاريخ لهرنشو: ص٥٤ – ٥٥ .

(٣) من اقدم الكتب التي وصلتنا عن القضاة، الكتاب الموسوم (اخبار العرب) لمؤلفه وكيع بن محمد، وتناول المؤلف (ت، ٣٠٦ هـ) أخبار القضاة الذين سبقوا وفاته.

الحج ووصف الحروب الداخلية ووقائع الغزو على الحدود وغير ذلك [١].

وفي هذا العصر نشطت حركة النقل عن اللغات الأجنبية [٢]، وذكر الأستاذ العبادي: أن مؤرخي القرن الثالث حددوا بصفة عامة مصادر التاريخ عند العرب فكانت ما يلي:

اولاً: كتب السيرة.

ثانياً: السجلات الرسمية.

ثالثاً: الكتب المنقولة عن اللغات الأجنبية.

رابعاً: المشاهدة والمشافهة (٣).

ثم أورد أسماء طائفة من أولئك المؤرخين أمثال: ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) صاحب كتاب المعارف، والبلاذري (ت ٢٧٨هـ) صاحب كتابي فتوح البلدان وأنساب الأشراف، واليعقوبي(ت ٢٩٢هـ) صاحب كتاب التاريخ، ويعد تاريخ اليعقوبي من أقدم الكتب العربية التي تضمنت التاريخ بمعناه العام، وبحث المؤلف تاريخ آدم فما بعده إلى ظهور الإسلام، ومنه الى زمن المعتمد العباسي سنة (٢٥٩ هـ)، وقد أولى اليعقوبي عناية خاصة بأخبار أئمة الشيعة، فأورد سنوات وفياتهم ولمعاً من أخبارهم. و كان اليعقوبي شيعياً و لكنه لم يتأثر بانتمائه المذهبي في ما كتبه عن التاريخ وكان محمد بن جرير الطبري صاحب كتاب (الرسل والملوك) من بين مؤرخي الفترة المذكورة، وترى لختنشنادر: ان مؤلف الطبري يرتكز على قاعدة تختلف عما سبقه من الكتب، وأن مؤلفه يظهر تحولاً عن الأسلوب السابق لعصره بالرغم من ظهور تأثير الأسلوب القديم في الأمور التفصيلية،

(١) كان اليعقوبي في كتابه (التاريخ) حريصاً على ذكر اسماء عمال الخلفاء، واسماء الحج في عهد كل خليفة.

(٢) لقد اورد ابن النديم (الفهرست: ص٣٤٠) فصلًا ضمنه اسماء النقلة من اللغات الأجنبية الى العربية.

(٣) المصدر السابق: ص٥٤ - ٥٥.

وخاصة في الأقسام التي تبحث في تاريخ عرب الجاهلية وصدر الإسلام مؤلفه، ثم ترى الكاتبة: ان الطبري ربما حذا في كتابه حذو تاريخ العائلة المالكة الفارسية - بهلوى خدانامه - الذي نقله ابن المقفع للعربية، ويمثل الطبري نموذجاً جديداً من المؤرخين، وهو مؤرخ منصف، ولكن مؤلفه يفتقر الى الشمول(1).

وقد جرى الطبري على طريقة (٢) تسجيل الحوادث حسب السنوات الهجرية، وتبعه في ذلك ابن الأثير، وابن كثير.

والطريقة التي يسجل بها التاريخ حسب السنين لا تخلو من نقائص، والى جانب ذلك ظلت سلسلة التواريخ العامة مطردة من حيث انتهى الطبري، فوضع المسعودي كتاب مروج الذهب، وصنف مسكويه تجارب الأمم، وابن الأثير الكامل، وأبو الفداء المختصر في أخبار البشر، وابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر.

وبظهور ابن خلدون وكتابته لمقدمته الشهيرة ظهر مفهوم جديد للتاريخ ولعمل المؤرخ، ونظر ابن خلدون نظرة فلسفية واجتماعية الى التاريخ، وضمَّن آراءه في المقدمة التي صدر بها كتابه الموسوم بـ (العبر)، والتاريخ في نظر ابن خلدون لا يتصف بالجمود والثبات، بل: هو عملية نامية متطورة مليئة بالحركة اشتركت فيها وحدتان اجتماعيتان

(1) Op , Cit , P. 130 – 1 .

(٢) ان طرق التدوين التاريخي الشائعة عند المؤرخين هي: أولا: نظام الحوليات، وعرفت عند البابليين، والمصريين، وأخذ مؤرخو العصور الوسطى يستعملونها ثم تحسنت بتأثير المؤرخين المسلمين.

ثانيا: التاريخ Chronicles، وهذه الطريقة ارقى من سابقتها، وجرى عليها الطبري، وابن مسكويه، وابن الأثير.

ثالثاً: الطريقة التي يطبقها معظم المؤرخين المحدثين، وتتناول عرض الحوادث وسوقها مساق القصة المرتبة على العهود التاريخية دون السنين، وكان اليعقوبي، والدينوري، والمسعودي، وابن خلدون، وغيرهم يتبعونها في تدوينهم للتاريخ.

رئيسيتان وهما: البدو، والحضر، وتمثل المجموعة الأولى كما يرى ابن خلدون: صفات القوة والحيوية والتفوق الخلقي والديني، بينما تمثل الأخرى: التفسخ والانحطاط الجسمي والخلقي، ويظهر من هذا ان الصفتين العاليتين اللتين هما عاملان فعالان في تكوين تاريخ جماعة ما هما العصبية والدين، وهما موجودتان عند البدو.

ولم يسبق ابن خلدون على ما نعلم أحد الى الإشارة لهذه الطريقة التدريجية التطورية، والتي بدورها توصل الى مفهومة تاريخية فلسفية شاملة، وتعد مقدمة ابن خلدون فريدة في بابها، وقد بلغت القمة في كتابه التاريخ الإسلامي، وحتى كتابه الذي كتب له تلك المقدمة لم يبلغ الدرجة التي رسمتها له المقدمة نفسها، وما هو إلا مؤلف شبيه بالمؤلفات التاريخية الإسلامية الأخرى، ولم يكن بين أسلاف ابن خلدون من المؤرخين المسلمين من بلغ درجته، كما لم يقلده أحد من المؤرخين الذين عاشوا بعد عصره، وقد ورث أفكاره علماء مؤرخي القرون الوسطي والحديثة أمثال: ميكافلي وفيكو الذي ينظر الى عملية التاريخ: بأنها عملية دورية، وأن التاريخ ما هو إلا حياة البشرية التي تتقدم باستمرار عن طريق الانحطاط والانتعاش، وكل عصر من عصوره البشرية متصل بالعصور الذي سبقته وتلك التي تليه.

وقد تناول مرغوليوث في كتابه الموسوم بـ (دراسات عن المؤرخين العرب) البحث عن أشهر المؤرخين المسلمين، كما أشار الى طائفة من مشكلات تدوين التاريخ عندهم، وعقد فصلاً عن التاريخ عند المسلمين بصورة عامة، ثم تلاه بفصل عن التاريخ الجاهلي، ويليه فصل عن بواكير التاريخ العربي، وآخر عنوانه (الشعر أداة التاريخ)، وخصص الفصل الخامس للكلام عن مؤرخي القرن الثاني للهجرة، والسادس عن مؤرخي القرن الثالث للهجرة، والسابع عن مؤرخي القرن الرابع للهجرة، والثامن عن المؤرخين المتأخرين.

الفصل الثالث
طريقة البحث التاريخي

لقد أصبحت معرفة الماضي بصورة صحيحة هدفاً أساسياً للمؤرخين، ورغبة في تحقيق الهدف المذكور على المؤرخ أن يطبق طريقة البحث التاريخي في بحوثه التاريخية، وكان أرنست برنهايم (Ernst Bernheim) من الرواد الذين بسطوا قواعد طريقة البحث التاريخي[1]، وحدد برنهايم طريقة البحث التاريخي: بأنها الوسيلة التي تمكننا من الوصول الى الحقائق التاريخية، وقد نظر المؤرخون المحدثون للتاريخ وللبحث فيه على أنه:علم شبيه بالعلوم الأخرى التي تستند الى قواعد وقوانين خاصة بها، وبالرغم من ذلك، فأنهم وضعوا تحفظات تتعلق بطبيعة علم التاريخ.

وكان من بين تلك التحفظات ان علم التاريخ هو احد العلوم الاجتماعية التي تختلف بطبيعتها عن العلوم الطبيعية، وان الحوادث التاريخية تحصل مرة واحدة تحت ظروف واحوال معينة، ولا يمكن تكرارها تحت الظروف والأحوال نفسها كما هي الحال في العلوم الطبيعية، وبالرغم من كل ما سبق، فأن الباحثين في اصول البحث التاريخي يرون: إن التاريخ علم له قواعده، وله طريقته التي تشبه الى درجة كبرى طرق البحث

---

(١) ألف برنهايم كتابا في الموضوع عنوانه:
Lehrbuch der Historichen Methode Und der geschichts Philosophie.

في العلوم الأخرى.

يقول درويسن (Droysen) - ما ملخصه، لما كان التاريخ علماً كما بينا ذلك فيما سبق من البحث، فلا بد أن تكون له طريقته الخاصة به، تلك الطريقة التي تمكن المؤرخين من اكتشاف الحقائق التاريخية، ثم ان الطريقة نفسها تمكنهم من ربط الحقائق المكتشفة لتكوين المعرفة التاريخية، ويستمر درويسن بكلامه فيقول: إذا كانت طريقتا الاستقراء والاستنتاج المستعملتان في العلوم الأخرى مكنتنا من الوصول الى نتائج جيدة في حقول تلك العلوم، فلا يعني ذلك ان علم التاريخ لا يصل الى نتائج جيدة في حقله إذا لم يستعمل إحدى الطريقتين، وبوسع المؤرخ أن يستعمل طائفة من قواعد البحث التي تستعمل في الحصول على الحقائق في حقول المعرفة الأخرى، فتركيب المادة العلمية التي يستخدمها المؤرخون أثناء بحوثهم التاريخية يساعدهم على التوصل الى إيجاد تعميمات كما يساعدهم على تجزئة العوامل السببية المعقدة للتوصل الى اكتشاف العوامل المؤثرة في سير العملية التاريخية دون استبعاد اي واحد من تلك العوامل نتيجة لأفكار مسبقة وجدت في ذهن أولئك المؤرخين.

ومن الجدير بالذكر ان عبارة (طريقة البحث التاريخي) ذات معان عديدة، ولا ترتبط تلك المعاني مع بعضها بعوامل مشتركة.

فنقصد بالطريقة التاريخية - أحياناً: مجموعة معقدة من الطرق المستعملة في البحث التاريخي. وعندما نتوصل لكتابة بحث تاريخي نقول: إننا استعملنا طريقة البحث التاريخي للتوصل الى كتابة ذلك البحث.

ويستعمل (ج. اس. مل. G. S. Mill) عبارة (طريقة البحث التاريخي) للدلالة على معنى خاص، ويقول مل: إن طريقة البحث التاريخي عبارة عن طريقة مركبة من طريقتين وهما: الاستقراء، والاستنتاج، ويطلق عليها بالانكليزية (- The Deductive

(IndenctiveMethod)، ويتم البحث التاريخي حسب الطريقة المذكورة عندما نتوصل الى معرفة جميع الحقائق التاريخية بصورة استقرائية، ثم تؤكد النتائج التي توصلنا إليها عن طريق الاستنتاج المستند على التعليل الفكري لطبيعة القضية المبحوثة على ان يكون ذلك في ضوء الحقائق التي توصلنا إليها فيما سبق[1].

(1) Shotwell , J.T., " History " , Ency. Britannica , II , P. 594.

الفصل الرابع
النقد الداخلي والخارجي

سبق أن أشرنا الى محاولة عدد من الباحثين الرامية الى وصف التاريخ: بأنه علم، ولكن أولئك الباحثين أبدوا تحفظات مفادها أن التاريخ رغم كونه علم، ورغم ان المؤرخ يستعمل في مسعاه للحصول على الحقائق التاريخية طريقة علمية هي - طريقة البحث التاريخي- فأن علم التاريخ لا يشبه العلوم الطبيعية، وأن طريقة دراسة تلك العلوم لا يمكن تطبيقها بصورة كاملة في دراسته(١).

ولكي يحقق المؤرخ - علمية - (Scientificism) التاريخ لا بد له من استعمال طريقة البحث التاريخي التي هي بحد ذاتها طريقة علمية لاكتشاف الحقائق التاريخية (٢)، والنقد

(١) ان الصعوبات التي تعترضنا عند تطبيق طريقة دراسة العلوم الطبيعية على التاريخ يمكن تلخيصها بما يأتي: أولاً: ان الأشياء موضوع الدراسة في التاريخ ليست متوفرة أثناء دراسة تاريخها فيمكن حينئذ لمسها أو مشاهدتها، ثم اجراء التجارب عليها كما هي الحال في الأشياء التي يدرسها الكيمياويون والفيزيائيون مثلاً. ثانياً: إن الأشياء موضوع الدراسة في العلوم الطبيعية لا تتمتع في الغالب بإحساس وتفكير عميقين ومعقدين ودوافع داخلية معقدة كما هي الحال في الإنسان الذي هو موضوع الدراسة في علم التاريخ لذا تسهل دراسة المواد الطبيعية بينما تصعب دراسة الإنسان المعقد في تفكيره وتكوينه. ثالثاً: صعوبة توفر التجرد التام عند المؤرخ لأسباب مختلفة من بينها الانتماء العنصري والعقيدة الدينية والمذهب الاجتماعي، وما الى ذلك بينما يمكن توفير ذلك التجرد عند العالم الطبيعي.

(٢) ان الحقائق التاريخية: هي حقائق اجتماعية أي انها حصيلة علاقات اجتماعية تمت بين كائنات بشرية فلو ان فلانا تزوج من فلان فتلك حقيقة تاريخية سواء كان ذلك الزواج شرعياً أوغير شرعي، أو انه

الداخلي والخارجي، الذي نحن بصدد البحث عنهما، للوثائق ولجميع المخلفات[١] البشرية التي وصلتنا، والتي من شأنها أن تزودنا بمعلومات عن الماضي هما من أهم الوسائل التي تمكننا من تحقيق الغرض المذكور.

وبعد أن يجمع المؤرخ المصادر التي تخص بحثه ينقدها بأساليب متعددة من النقد والتمحيص. ويرى الدكتور علي جواد الطاهر: إن المفهوم العام لكلمة (نقد) معروف وهو: (النظر في الخبر، أو النص، والتأكد من صحته، ثم بيان جيده ورديئه وخيره وشره، فيما يتصل ببحثنا لنكون على علم بما نأخذ وما ندع)[٢].

وتقسم الأساليب النقدية عادة الى قسمين رئيسين: النقد الخارجي الذي يتجه الى تثبيت نص الوثيقة، وتعرف مؤلفها وزمانها، والنقد الداخلي: الذي يتناول روايات النص لفهم معناها، وقدر اتجاهات مؤلفها ومدى تسرب الخطأ إليها أو تأثير التشيع فيها[٣].

ينطبق مع القواعد الدينية أولا ينطبق، او ان ذلك الزوج يتلائم مع الاخلاق او لا يتلائم معها، وهناك ملايين من الحقائق التاريخية التي اصبحت مؤكدة ومسلماً بحدوثها، فنزول جماعة من الفلاحين بزعامة كرستوف كولومبس في الثاني عشر من اكتوبر ١٤٩٢ في جزيرة يعتقد أنها واتلنك (Watling) هو إحدى تلك الحقائق، واجتماع عدد من المسلمين للمناقشة في شؤون الخلافة بعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) في سقيفة بني ساعدة في المدينة، وذلك في التاريخ الذي يتفق عليه اكثر المؤرخين هو حقيقة تاريخية الى ما هنالك من الأمثلة الكثيرة.

(١) يعد البحث عن المصادر المتعلقة بموضوع المؤرخ الخطوات الأولى التي يتخذها المؤرخ، وهذه المصادر على انواع عديدة، تختلف قيمة كل منها حسب الفترة او الناحية المعنى بها، فهناك النقوش والأبنية والتماثيل والمخلفات المادية من آنية وألبسة وأسلحة ونقود، وما الى ذلك، والوثائق المكتوبة التي سجل بها السلف ضروب فعالياتهم المختلفة، وسنعود الى الكلام عن المصادر وجمعها في موضع آخر من هذا الكتاب.

(٢) منهج البحث الأدبي (بغداد، ١٩٧٠ م) ص١٠٤.

(٣) زريق، نحن والتاريخ: ص٧١.

النقد الخارجي:

يقوم النقد الخارجي على معرفة تثبيت نص الوثيقة عن طريق التثبت من خلوه من الزيادة والنقص، وخلوه من التحريف، ثم معرفة مؤلفه، والتأكد من نسبة الوثيقة إليه، ويقول الدكتور زريق عند كلامه عن النقد الخارجي: عندما نجابه الوثيقة تعترضنا حالات مختلفة، فقد تكون هذه الوثيقة النسخة الأصلية التي وضعها المؤلف عندها تخف متاعبنا ونبادر الى اعتماد نص هذه النسخة خصوصاً إذا كانت سليمة لم تتعرض لأي فساد أو تحريف، وعندما يفقد شرط أو أكثر من الشروط التي يجب توفرها في الوثيقة الصحيحة يحاول المؤرخ أن يستخرج النص الأصلي، أو الوصول الى أقرب صورة ممكنة لذلك النص، وهذا العمل النقدي يتطلب معارف متنوعة بالخط والورق والحبر، وسواها من وسائل الكتابة والنسخ، ويعتمد أدلة من الوثائق ذاتها ومن خارجها، وغايته استخراج أصح نص ممكن - أقرب ما يمكن الى الأصل- ثم نشر هذا النص ليبقى مرجعاً ثابتاً للباحثين، ويمضي الدكتور زريق في كلامه فيقول:(وبعد تثبيت النص نتساءل عن المؤلف من هو ؟ هل هو ذلك الذي تدعي الوثيقة أنها من تأليفه أم شخص آخر؟ ويصاحب هذا التساؤل عن المؤلف تساؤلاً عن زمانه ومكانه، وعن زمان الوثيقة الأصلية، وعن كل ما يساعدنا على وضعها في موضعها الصحيح، وتصور الأحوال التي كتبت فيها والتطورات التي تعاقبت عليها)[1].

ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من التساؤلات التي أثارها الدكتور زريق في النص الذي أوردناها في اعلاه يجيب عليها أناس آخرون غير المؤلف، وهؤلاء هم المحققون أو الناشرون، فهناك أعداد كبيرة من المؤلفات التاريخية والأدبية طبعت طبعات صحيحة ومحققة تحقيقاً علمياً يبيح للمؤلف أن يعتمد عليها في بحثه، وتأتي الكتب التي حققها

(١) زريق، نحن والتاريخ: ص٧٢.

عدد من المستشرقين أمثال: أدورد ساخو، ودى غويه، ومرغوليوث، وريتر، وغيرهم في الطليعة من تلك الكتب[١].

وقد أخذ عدد من الكتّاب العرب المحدثين أمثال: صلاح الدين المنجد، وعبد السلام هارون يحذون حذو المستشرقين في النشر والتحقيق.

أما المخطوطات والكتب غير المحققة تحقيقاً صحيحاً، فنقدها الخارجي يكون من صميم عمل الباحث الذي يجعل تلك الكتب والمخطوطات من مصادر بحثه، فيكون حينئذ محققاً أولاً، ثم باحثاً ثانياً.

النقد الداخلي:

يعد النقد الخارجي الذي بحثناه في الفقرة السابقة ممهداً للنقد الداخلي، وبعد أن نتثبت من النص، ونعرف مؤلفه وزمانه ومكانه نبادر الى رواياته لمعرفة مقصود المؤلف، ولا يكتفي الباحث في أحوال كثيرة في تفسير ظاهر النص، بل يحتاج الى استكناه باطنه، ويرى الدكتور زريق ان محاولة فهم النص تتبعها محاولة أُخرى، وهي: (تقدير قيمة المؤلف وصحة شهادته: هل كان قريباً من الحوادث التي يروي أخبارها أم بعيداً عنها ؟ وهل كان في وضع يساعده على صحة مشاهدتها ودقة ملاحظتها ورواية خبرها ؟ وهل هو منضبط ضابط لشهادته وروايته ؟ عدل أمين في تحقيقه ونقله، أم متشيع [٢] متغرض تدفعه عوامل داخلية أو خارجية للزيغ عن الحق وإعلانه على غير ما هو؟ إن غاية هذه الأسئلة وسواها من أسئلة التعديل والتجريح هي قدر قيمة المؤلف كشاهد، وبالتالي

(١) حقق دي غويه كتاب: الآثار الباقية للبيروني، وحقق ساخو كتاب: الطبقات لابن سعد، وحقق مرغوليوث كتاب: معجم الأدباء لياقوت، وحقق ريتر كتاب: فرق الشيعة للنوبختي.

(٢) – التشيع هو التعصب، والمتشيع المتعصب لنحلة أو رأي.

قيمة الشهادة التي يدلي بها كل ذلك استعداداً للعملية التالية: عملية استخراج حقيقة الحادث التاريخي من الشهادات الباقية عنه)[١].

وعلى الناقد الذي يتولى تعديل المؤرخين أو تجريحهم ان يكون حذراً غير مبالغ، فلا ينفي من أجل النفي، ولا يجرح كاتب الوثيقة إلا بعد ان يتأكد من عدم أمانة المؤلف، أو انه لم يكن حسن الإطلاع، أو انه كان خائفاً أو طامعاً أو حاقداً.

ونختم كلامنا عن نقد الوثائق بمثال مستمد من نقدنا لوثيقتين نسبتا لأبي مخنف مع أنهما لم تكونا له، والوثيقتان آنفتا الذكر هما:(مقتل الإمام الحسين ﷺ)، و (أخبار المختار)، وعند فحص الوثيقتين تبين لنا أن أبا مخنف لم يكن مؤلف الوثيقتين المذكورتين، ومن الأدلة التي استعملناها لتأييد وجهة نظرنا:

أولاً: إن كتاب مقتل الحسين الموجود بين أيدينا هو ليس لأبي مخنف، بل هو منسوب إليه. يقول القمي: (وأما المقتل الذي بأيدينا وينسب إليه فليس له، بل ولا لأحد من المؤرخين المعتمدين)[٢].

ثانياً: لقد استعملنا النقد الداخلي لكتاب (مقتل الإمام الحسين) المنسوب لأبي مخنف، فوجدنا الرواية التالية: (وروى الكليني في حديث أن معاوية لما حضرته الوفاة...)[٣]، ومن المعلوم ان وفاة الكليني كانت سنة ٣٢٨ / ٢٩ هـ، ويترتب على هذا إن الكتاب الذي بين أيدينا ألف بعد التاريخ المذكور، أو قبله بقليل بينما أن وفاة ابي مخنف كانت في

(١) زريق، نحن والتاريخ: ص٧٣.

(٢) القمي، عباس، الكنى والألقاب (النجف، ١٩٥٦) ج١: ص١٥٢.

(٣) ابو مخنف، مقتل الحسين (النجف، ١٣٤٧) ص٧.

سنة ١٥٧ هـ[١].

أما كتاب (أخبار المختار) فهو الآخر منسوب الى أبي مخنف وليس له، ونعتمد في رأينا هذا على ما يأتي:

أ – الاسلوب: إن الكتاب المذكور خلو من الإسناد الذي اعتاد مؤرخو عصر أبي مخنف ان يذكروه في مطلع الرواية، وقد سار أبو مخنف على هذه الطريقة عند إيراده للروايات التي حفظها لنا الطبري عنه.

ب – إن الاسلوب المذكور من حيث المفردات والتركيب هو أقرب الى أساليب المتأخرين منه الى اسلوب عصر أبي مخنف.

ج – لقد حفل الكتاب المذكور بالحكايات والقصص التي يصعب ورودها عن مؤرخ ثقة أمثال ابي مخنف. يقول فلهاوزن: إن الإنسان لا يلاحظ عند أبي مخنف شيئاً من الأغراض يستحق الذكر، او هو على الاقل لا يلاحظ اغراضاً من شأنه تزييف الوقائع تزييفاً إيجابياً[٢].

النقد عند المحدثين والمؤرخين المسلمين:

سبق أن اشرنا الى ان المحدثين اهتموا بدراسة الحديث سنداً ومتناً، ووضعوا قواعد لنقد الرواة ومتون الحديث، والعلم الذي يعنى بنقد رواة الحديث يسمى الجرح والتعديل، ويقوم الجرح والتعديل على معرفة صفة من تقبل روايته ومن ترد روايته، وما يتعلق بذلك من قدح وجرح وتوثيق وتعديل، ويشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون

(١) القمي، عباس، الكنى والالقاب: ج١: ص١٥٢.

(٢) الدولة العربية وسقوطها، ترجمة عبد الهادي ابو ريدة (القاهرة، ١٩٥٨م).

مسلماً، بالغاً، عاقلاً، سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة، متيقظاً غير مغفل، حافظاً إن حدث من حفظه، ضابطاً لكتابه أن حدث من كتابه.

وتثبت عدالة الراوي بتنصيص المعدلين على عدالته، كما تثبت بالاستفاضة، أي اشتهاره بين أهل النقل أو نحوهم من أهل العلم بالثقة والأمانة.

ونجد علماء الرجال أمثال النجاشي (ت ٤٥٠هـ) ينصون على الضعفاء من المحدثين، فالنجاشي عند ترجمته لأحمد بن محمد بن سيار يقول: (ضعيف الحديث فاسد المذهب... مجفؤ الرواية، كثير المراسيل)[١]، ويعد السيد مير مصطفى التفرشي - من علماء القرن الحادي عشر - من أشهر الذين كتبوا عن أحوال الرجال[٢]، وتكفلت كتب الدراية [٣] عند الشيعة الإمامية بإيراد معلومات موسعة عن الحديث ونقده سنداً ومتناً.

وتحتل مقدمة [٤] ابن الصلاح وأمثالها عند أهل السنة مقام كتب الدراية عند الشيعة، وظهر بين الزنادقة والغلاة وذوي الأهواء والأغراض من عمدوا الى وضع الحديث. ذكر الطبري أن محمد بن سليمان والي المنصور على الكوفة أراد قتل عبد الكريم بن أبي العوجاء لزندقته، فلما أحضر للقتل قال: (أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أُحرم فيها الحلال وأحل فيها الحرام، والله لقد فطرتكم في يوم صومكم وصومتكم في

(١) الرجال (طهران، د، ت) ص٦٢.

(٢) للتفرشي كتاب بعنوان (نقد الرجال) طبع بطهران في سنة ١٣١٨ هـ.

(٣) من اشهر كتب الدراية: كتاب دراية الحديث للشهيد الثاني، ودراية الحديث للشيخ حسين بن عبد الصمد.

(٤) طبعت المقدمة بحلب في سنة ١٩٣١م.

يوم فطركم)[1].

وكان الغلاة من الشيعة يضعون الحديث على لسان الأئمة المعصومين ﷺ، روى الكشي: إن الإمام الرضا ﷺ قال: (كان بنان يكذب على علي بن الحسين ﷺ فأذاقه الله حر الحديد، وكان محمد بن بشير يكذب على أبي الحسن موسى، وكان أبو الخطاب يكذب على أبي عبد الله)[2].

أما التزوير في حقل التاريخ فقد أشار إليه عدد من المؤرخين المسلمين، قال البيروني: (على ان الأصل الذي أصلته، والطريق الذي مهدته ليس بقريب المأخذ، بل كانه من بعده وصعوبته يشبه أن يكون غير موصول إليه لكثرة الأباطيل التي تدخل جمل الأخبار والأحاديث، وليست كلها داخلة في حد الامتناع فتميز وتهذب لكن ما كان منها في حد الامكان جرى مجرى الخبر الحق إذ لم يشهد ببطلانه شواهد أخر، بل قد يشاهد وشوهد من الأحوال الطبيعية ما لو حكي مثلها عن زمن بعيد عهدنا به لثبتنا الحكم على امتناعها، وعمر الإنسان لا يفي بعلم أخبار أمة واحدة من الأمم الكثيرة علماً ثاقباً، فكيف يفي بعلم اخبار جميعها هذا غير ممكن؟ وإذا كان الأمر جارياً على هذا السبيل فالواجب علينا أن نأخذ الأقرب من ذلك فالأقرب والأشهر فالأشهر، ونحصلها من أربابها، ونصلح منها ما يمكننا إصلاحه، ونترك سائرها على وجهها ليكون ما نعمله معيناً لطالب الحق، ومحب الحكمة على التصرف في غيرها، ومرشداً إلى نيل ما لم يتهيأ لنا...)[3].

ويقول مسكويه: (ووجدت هذا النمط من الأخبار مغموراً بالأخبار التي تجري

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (القاهرة، ١٩٣٨ م) ج٦: ص٢٩٩.

(٢) الرجال: ص٢٥٦.

(٣) الآثار الباقية عن القرون الخيالية (لايبزك، ١٩٢٣ م) ص٤ - ٥.

مجرى الأسمار والخرافات التي لا فائدة منها غير استجلاب النوم، والاستمتاع بأُنس المستطرف منها حتى ضاع بينها، وتبدد اثناءها فبطل الانتفاع به ولم يتصل لسامعه وقارئه اتصالاً يربط بعضه بعضاً)[١].

وظهرت آراء وقواعد للنقد في مقدمة ابن خلدون لها أهميتها في نقد مادتي الحديث والتاريخ معاً، فأهتم ابن خلدون في نقد متن الرواية إذ يقول: (ولا يرجع الى تعديل الرواة حتى يعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع، وأما إذا كان مستحيلاً فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح)[٢].

كما التفت ابن خلدون الى الأسباب التي تعبث بالرواية التاريخية فيقول: (ولما كان الكذب متطرقاً للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه، فمنها:

١ – التشعبات للآراء والمذاهب: فان النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان الانتقاد والتمحيص، فتقع في قبول الكذب ونقله.

٢ – ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار أيضا: الثقة بالناقلين، وتمحيص ذلك يرجع الى التعديل والتجريح.

٣ – الذهول عن المقاصد: فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بها عاين أو سمع، وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب.

(١) تجارب الأمم (ليدن، ١٩٠٩ م) ج١: ص٤.

(٢) ابن الصلاح، المقدمة: ص٣٧.

٤ – تقرب الناس في الأكثر لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك فيستفيض الأخبار بها على غير حقيقته.

٥ – توهم الصدق: وهو كثير، وانما يجيء بالأكثر من جهة الثقة بالناقلين.

٦ – الجهل بطبائع الأحوال في العمران: فإن كل حادث من الحوادث ذاتاً كان أو فعلاً لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله، فإذا كان السامع عارفاً بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب، وهذا أبلغ في التمحيص من وجه يعرض، وكثيراً ما يعرض للسامعين قبول الأخبار المستحيلة وينقلونها وتؤثر عنهم[١].

ويسوق ابن خلدون طائفة من الامثلة عن الخرافات التي وردت في كتب المسعودي وغيره من المؤرخين المسلمين، ثم يقول: إن أمثال ذلك كثير، وتمحيصه إنما هو بمعرفة طبائع العمران، وهو أحسن الوجوه وأوثقها في تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها، وهو سابق في نفسه ممكن او ممتنع وإما إذا كان مستحيلاً فلا فائدة للنظر في التجريح والتعديل[٢].

إن الصفات التي يتطلبها ابن خلدون في المؤرخ تعطينا صورة واضحة عن الصفات التي يجب توفرها في الباحث الحديث، وهي صفات قلما توفرت في كتابات الكثيرين من المؤرخين المسلمين بما فيهم ابن خلدون نفسه، ولم يطبق ابن خلدون القواعد التي وضعها حين كتب تاريخه المعروف.

أما السخاوي فيشترط بالمؤرخ: العدالة مع الضبط التام الناشئ عن مزيد من الإتقان

(١) ابن الصلاح، المقدمة: ص٣٥.

(٢) نفس المصدر: ص٣٧.

والتحري كما يشترط فيه: أن يكون ذا دين وخير، ويطلب منه ان يتجنب المدح الكاذب والمداهنة، وان يتجنب ذكر مساوئ الأعداء وطمس حسناتهم، ويشترط في المؤرخ: أن يكون عالماً بطريق النقل لا يجزم إلا بما يتحققه، فإن لم يحصل له مستند معتمد في الرواية لم يجز له النقل، ويضرب السخاوي مثالاً من تاريخ الذهبي الذي ذم فيه كثيراً من أئمة الشافعية والحنفية دون حق، ويشترط فوق ذلك في المؤرخ الصدق، وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى، وان يسمى المنقول عنه، وان يكون عارفاً بمدلولات الألفاظ[1].

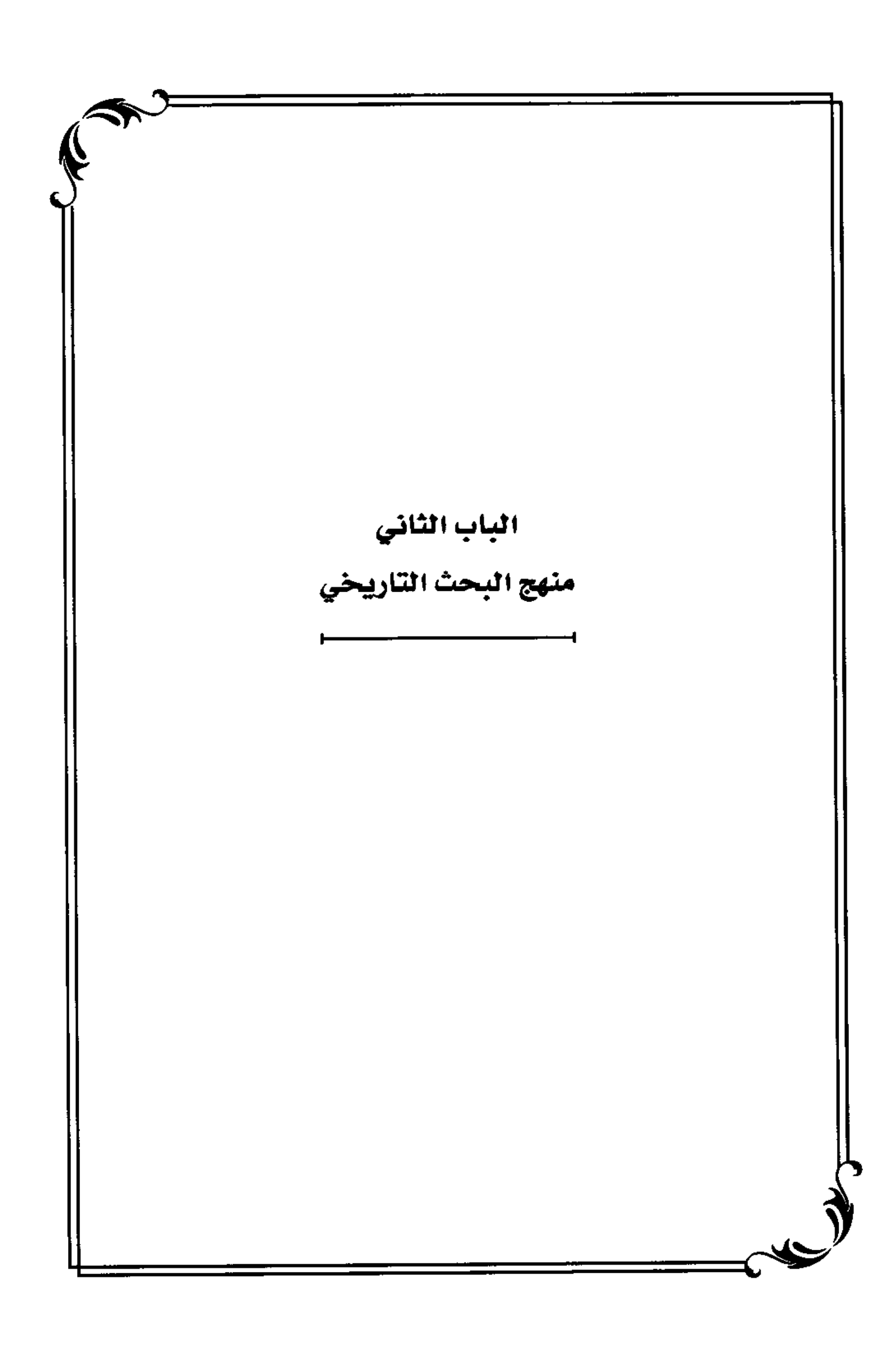
ونختم كلامنا عن مادة التاريخ ونقدها عند المسلمين بالملاحظات التالية:

أولاً: اهتمت غالبية المؤرخين عند المسلمين بتوفير سند الرواية، وانصب نقدهم في الغالب على رجال السند أو الرواة، أما المتون او محتويات الرواية فكان نصيبها من النقد ضئيلاً.

ثانياً: امتزجت مادة التاريخ عندهم في الغالب بطائفة من الخرافات والأدب، وكتب المسعودي والدميري والنويري أمثلة على ذلك الاتجاه.

ثالثاً: تأثر كثير من المؤرخين المسلمين بأساليب المحدثين نظراً لأن التاريخ نشأ عند المسلمين وثيق الصلة بالحديث، وأساليب المحدثين إن صلحت للحديث الذي هو موضوع ديني لا تصلح لكتابة التاريخ التي من اهم مقوماتها جمع الأخبار من مظانها المختلفة وتدقيقها ونقدها وتحليلها بمعزل عن الدين والقدسية التي تحيط بموضوعاته.

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: ص ٧٠ – ٧١.



الباب الثاني

منهج البحث التاريخي

الفصل الأول

اختيار الموضوع المناسب

Finding the perfect topic

إن الغرض من كتابة هذا الكتاب كما أسلفنا هو مساعدة المبتدئين من طلبة التاريخ على إيجاد نقطة البداية في بحوثهم من جهة، واقناعهم بان كتابة مقالة جادة وهادفة تعد من أجمل الأهداف التي يسعى الإنسان لتحقيقها، وقد يتصور بعض المبتدئين في البحث إن فرص إيجاد أخطاء في المؤلفات التي تعد حجة في حقول اختصاصها، وان العثور على مصدر جديد كان قابعاً في زاوية من زوايا الاهمال، وان تعديل أو تحوير فرضية مقبولة وقائمة على كل ذلك من الأمور العسيرة التحقيق. إن صحة التصور آنفة الذكر يقابلها ويعاكسها تصور مفاده: ان الذي يتصدى للبحث في عصرنا الذي وصف بعصر الآلة لا بد أن يجد أمامه مواضيع كثيرة تنتظر البحث، وتستحق الجهود التي تبذل من أجلها.

وقد تواجه المبتديء صعوبات حين يتصدى للتفتيش عن عنوان موضوع يريد بحثه، وقد تكون تلك الصعوبات من الكثرة بحيث تثبط همة ذلك المبتديء، وتضعف من رغبته الملحة في البحث، ومن الجدير بالذكر. إن المواضيع المناسبة لا تفصح عن نفسها بسهولة، كما لا يصلح لانتقائها عادة آخرون غير الباحث نفسه. أن المواضيع المناسبة الصالحة للبحث تكتشف في الغالب بعد جهود شاقة وعمل ممل، وقلما تتيسر

معرفة تلك المواضيع إلا بعد الاطلاع على كتابات تاريخية جادة ومركزة والاعتياد على قراءتها، وعلى الطالب المبتديء أثناء سعيه للحصول على عنوان مناسب أن يتخذ بضعة قرارات عامة فعليه أن يقرر أولاً ما هو نوع التاريخ الذي يحظى بأكبر نسبة من اهتمامه ؟ ويتساءل ويقول: هل أنه مهتم بالتواريخ القومية لبعض الأمم ؟ مثل تاريخ الأمة العربية، أو الأمة الأمريكية، أو الفرنسية... ألخ.

وإذا كان اهتمام الطالب منصباً على الحقل آنف الذكر ينتقل الى تحديد العصر الذي يريد اختياره لبحث تاريخ الأمة التي وقع اختياره عليها، هل هو التاريخ القديم، او الوسيط، او الحديث مثلاً ؟ وفي إطار الفترة الزمنية التي حددها يعين الطالب فيما إذا كان اهتمامه منصباً على بحث تاريخها السياسي، أو الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو الفكري.

إن الخطوات آنفة الذكر تتبع عندما يكون الطالب غير مهتم أثناء حياته الدراسية بناحية خاصة تقع ضمن اختصاصه كأن يكون حقل اختصاصه الفلسفة الإسلامية في العصر الوسيط، وانه مهتم بدراسة إبن سينا أو بناحية معينة منها، أو أن حقل اختصاص التاريخ الحديث ويرغب دراسة الحركة الدستورية في العراق في فترة معينة من تاريخ العراق الحديث، وفي هذه الحالة يحدد عنوان موضوعه ويتقدم بالعنوان المذكور بعد مناقشته مع الأستاذ المشرف للدائرة التي يحضر لدراسته العليا فيها.

وسواء كان الطالب المتصدي للبحث اختار عنواناً لموضوع سبق أن نال عنايته وآثار اهتمامه، أو ان ذلك الاختيار نتج عن قناعته بأهمية الموضوع وصلاحه للبحث، عليه ان يكون متأكداً من انه ملم بمعرفة جوانب موضوعه الذي وقع اختياره عليه، وإذا لم يتوفر لديه الإلمام المذكور عليه ان يتبع خطوة إختيار عنوان الموضوع بخطوة أُخرى تقوم على قراءة مواد علمية ذات صلة وثيقة بذلك الموضوع، ومن المستحسن أن يبدأ بقراءة كتاب مقرر، أو أي مرجع مشابه يبحث في موضوعه، وتوجد أعداد من الكتب

المعنية بالموضوع الذي يريد الطالب بحثه، وقد يكون الأستاذ المشرف على بحث الطالب يعرف النوع الجيد من تلك الكتب، ويبدا الطالب عادة بقراءة كتب تناولت موضوعه بصورة عامة، ثم ينتقل الى قراءة الأخص فالأخص.

وقد اقترح كنت (Kent) قائمة من الكتب ضمنها نماذج من النوعين المشار إليهما في اعلاه، وقد جعل السلاسل التي أصدرتها جامعة مبرج عن التاريخ القديم والتاريخ الوسيط والتاريخ الحديث من بين الكتب العامة، وأتبعها بقائمة من الكتب الخاصة التي تبحث في حقول تاريخ امة معينة كالأمة الأمريكية والفرنسية وغيرهما.

ويرى كنت ان اختيار عنوان موضوع ما يكون موفقاً إذا تحققت فيه الميزات التالية:

أولاً: أن يكون العنوان خاصاً ببحث جزء محدد من المشكلة التاريخية التي قرر الطالب بحثها.

ثانياً: أن يتوسم الطالب في نفسه القدرة على بحث الموضوع الذي وقع اختياره عليه.

ثالثاً: يجب ألا يجعل الطالب حين يقدم على اختيار موضوع للبحث أهمية الموضوع فقط هي التي تقرر صلاحه، فكثير من الطلبة يتصورون ان البحث في تاريخ الأحزاب السياسية، أو الانتخابات، أو الحروب هو وحده يمكن أن يسمى بحثاً تاريخياً بينما غيره من المواضيع ذات الأهمية الثانوية لا تحتل تلك المرتبة التي جعلها حكراً على الصنف الأول من المواضيع، والواقع أن التصور المذكور ليس له نصيب من الصحة.

رابعاً: مراعاة الحدود الزمانية والمكانية للموضوع الذي وقع عليه الاختيار، فالطالب الذي يتصور أن بمقدوره أن يكتب عن الكنيسة والدولة في العصور الوسطى، أو يكتب عن تاريخ الضرائب في فرنسا مثلا لا يستطيع ان يكتب بحثاً، وان ما ينجزه في

هذا المضمار لا يتعدى مستوى الكتب الدراسية، ولو ان الطالب المذكور حدد العنوانين السابقين على الصورة التالية كأن يقول: دور الدولة والكنيسة في تتويج شارلمان مثلاً، أو ضرائب الأبواب والشبابيك في فرنسا لأصبح بإمكانه أن يبحث عناوين مواضيع واضحة ومحددة.

خامساً: أن تكون مصادر الموضوع الذي وقع الاختيار عليه مكتوبة بلغة يستطيع ان يقرأها المؤلف، فالطالب الذي لا يقرأ الفرنسية مثلاً ليس بوسعه أن يكتب موضوعاً في حقل التاريخ الفرنسي، ومن الجدير بالذكر أن أمهات الكتب المكتوبة في لغة من اللغات قد ترجمت الى لغات أخرى، فأن ظهر للطالب بعد استشارة الأستاذ المشرف على بحثه أن معلومات كافية عن موضوعه المقترح متوفرة في الكتب المترجمة جاز له حينئذ أن يتقدم لبحث ذلك الموضوع، ومع ذلك فان عنوان الموضوع المذكور يمكن ان يوصف بأنه جيد ولكنه ليس كاملاً (Perfect) لأن قراءة المصادر بلغة كاتبها أمر حيوي لكل بحث كامل[1].

وينصح الدكتور شلبي طلبة الدراسات العليا بطرح الأسئلة التالية على انفسهم قبل ان يسجلوا موضوع الرسالة ويتقيدوا به.

والأسئلة هي:

اولاً: هل يستحق هذا الموضوع ما سيبذل فيه من الجهد ؟

ثانياً: أمن الممكن كتابة رسالة عن هذا الموضوع ؟

ثالثاً: أفي طاقتي أنا ان أقوم بهذا العمل ؟

رابعاً: هل أحب هذا الموضوع وأميل إليه[2] ؟ .

(1) Kent , Op. Cit , PP. 16 – 22 .

(٢) شلبي، أحمد، كيف تكتب بحثاً أو رسالة: ص٢٣.

الفصل الثاني

الخطة

بعد ان يتم الطالب اختيار موضوع بحثه ينتقل الى مرحلة رسم الخطة، وهي مرحلة مهمة في البحث لأن الخطة: قوام كل عمل منهجي يرجى له النجاح.

وقبل البدء بوضع الخطة ينصح الطالب بضرورة الاستفادة من خبرات الثقات ممن سبقوه في الكتابة عن موضوعه أو عن موضوعات قريبة الصلة به، ويمكن ان تتحقق تلك الاستفادة من قراءة المؤلفات، او المقالات المعتمدة التي كتبت عن الموضوع الذي وقع اختياره عليه، أو تلك التي كانت مكتوبة عن موضوعات قريبة الشبه بموضوعه. إن المقالات التي تحتويها الموسوعات المعتمدة عن موضوع ما تعد من بين المادة العلمية التي ينصح الطالب بقراءتها قبل وضع خطة لبحثه، ومن اشهر الموسوعات المعتمدة: الموسوعة الإسلامية، وموسوعة الدين والأخلاق، وموسوعة العلوم الاجتماعية، والموسوعة البريطانية، والموسوعة الأمريكية وغيرها، كما ينصح الطالب ان يطلع على الرسائل الجامعية المتوفرة بجامعته او غيرها على ان يختار النوع الجيد من تلك الرسائل أولاً، وأن تكون لطلاب الدرجات المماثلة ثانياً، وأن يكون محتواها متعلقاً في حقل اختصاصه وموضوعها مقارباً لموضوعه ثالثاً، فطلاب القانون مثلاً يرجعون الى الرسائل التي قدمت في القانون، وطلاب التاريخ يرجعون الى رسائل تاريخية، وطلاب الشريعة الإسلامية يفتشون عن رسائل كتبت في موضوع من موضوعات الشريعة، وكذلك

طلاب الجغرافية والأدب.

ولا يفترض في الطالب ان يقلد خطط تلك الرسائل تقليداً أعمى، بل كل ما يراد منه الاستفادة من خبرات الآخرين، والاستئناس بها حينما يضع خطة رسالته، ويفترض ان يتوفر في تلك الخطة عنصر الابتكار اولاً، وان تكون ملائمة لطبيعة الموضوع الذي وقع اختيار الطالب عليه ثانياً، كما تكون الخطة متضمنة جميع النقاط المهمة التي ينوي الطالب دراستها خلال كتابته لرسالته ثالثاً، ويجب ان تتوفر في الخطة فضلاً عما سبق عناصر المرونة، لأن الباحث يجد خلال مراحل البحث ان التحوير في والحذف من والإضافة الى محتويات الخطة امر يفرضه ظهور حقائق جديدة، أو آراء جديدة تتكشف للباحث بعد توغله في بحث موضوعه بينما لم تكن تلك الحقائق والآراء معروفة لديه عند وضع الخطة في بداية البحث.

ومن الجدير بالذكر ان لكل موضوع طبيعته التي تتطلب وضع خطة ملائمة له، وان لكل باحث شخصيته التي تترك طابعها على الخطة التي يرسمها لبحثه، ومع ذلك فلابد لمن يريد وضع خطة ناجحة ان يكون ملماً بجوانب موضوعه أولاً، وان يراعي قواعد ومقترحات وضعها المعنيون بالكتابة عن منهج البحث التاريخي ثانياً، ومن أشهر القواعد والمقترحات المذكورة:

أولاً: التبويب: يكون تقسيم الموضوع وتجزئته الى وحدات معينة اول هدف نستهدفه من وضع خطة البحث، ويسهل علينا التقسيم المذكور توزيع المادة المجهزة والأفكار المنبثقة عنها على الأجزاء، او الوحدات التي تتكون منها الخطة.

ويراعى في ترتيب الأحداث ان يسبق أولها آخرها، وان يؤلف من مجموع الأجزاء كيان كامل حي يشد بعضه بعضاً وكل شيء فيه يقود الى نتيجة.

ويقترح الدكتور شلبي إتباع الخطوات التالية في تبويب الرسالة تبويباً أولياً:

١ – وضع عنوان للمشكلة موضوع الرسالة.

٢ – بيان المشكلات الرئيسة التي تتفرع من هذه المشكلة كل مشكلة من هذه المشكلات الرئيسة المتفرعة تسمى فصلاً.

٣ – تقسيم كل مشكلة من هذه المشكلات الرئيسة الى مشكلات فرعية يسمى كل منها قسماً[1].

إن اقتراح شلبي الذي اوردناه في اعلاه ينطبق على الرسائل الجامعية، والبحوث المعقدة في الأغلب اما البحوث الصفية: فيفضل ان تبوب الى فقرات واسعة تسلسل بالأرقام ١، ٢، ٣، ٤... الخ، ويمكن ان تسمى تلك الفقرة الكبيرة فصولا على سبيل التجوز.

ويتبع عند تبويب البحوث الواسعة تبويب آخر غير ما ذكر في اعلاه، ويقول الدكتور علي جواد الطاهر في صدد كلامه عن تبويب هذا النوع من البحوث: (ويحدث خارج البحث الجامعي المعد من أجل درجة علمية عادة ان يقضي الموضوع اتساعاً وتشعباً، وحينئذ ترى المؤلف يقسمه الى أجزاء: الجزء الأول، الجزء الثاني، ويقسم كل جزء من الأجزاء بمقتضى المادة المتكونة لديه، والوحدات الأصغر التي يمكن ان تنطوي تحتها الى أبواب، والأبواب الى فصول، فيكون الكتاب: الجزء الأول، الباب الأول، الفصل الأول، الفصل الثاني، الباب الثاني، الفصل الأول، الفصل الثاني، الجزء الثاني، الباب الأول، الفصل الأول، الباب الثاني، الفصل الأول)[2] إن التبويب الذي اشار إليه

---

(١) شلبي، أحمد، كيف تكتب بحثاً او رسالة: ص٣٣.

(٢) منهج البحث الأدبي: ص٦١.

الدكتور الطاهر يخص الباحثين المتمرسين، وينطبق على الموضوعات المعقدة لذا لا ننصح الطلبة المبتدئين، وهم ما عنينا خطابهم في هذا الكتاب باتباعه.

ثانياً: الالتزام بتثبيت مكملات البحث ومستلزماته تتكون الخطة في الأساس من الفقرات، او الفصول التي توزع عليها مادة البحث الأساسية، وتسمى تلك المادة صلب الكتاب.[1]

ويسبق الصلب او الفصول ما يأتي:

أ: مؤلف الكتاب والمؤلف:

هو الشخص الذي قام بتأليف الكتاب، والمسؤول عن المضمون الفكري الذي يعالجه نص الكتاب، أو هو الشخص او الهيئة المسؤولة عن وجود الكتاب، وعلى هذا فان الشخص الذي يقوم بجمع عدة أعمال لعدد من الكتاب (محرر او جامع) في كتاب واحد يمكن اعتباره مؤلفاً لهذا الكتاب بالرغم من انه لم يكتب النص الأصلي للكتاب، وكذلك يمكن اعتبار الهيئات مثل الجمعيات والمعاهد والمؤسسات والحكومات وغيرها مؤلفين للمطبوعات التي تصدر باسمها او التي تصدر تحت مسؤوليتها، ومن أمثلة ذلك: موسوعة العتبات المقدسة لجعفر الخليلي، وتاريخ العصور الوسطى او القديمة او الحديثة لجامعة كمبرج، وقد تكون الحكومات مؤلفاً مثل: السعودية، وزارة البترول، الحكومة العراقية وزارة الإعلام، سوريا وزارة التربية والتعليم، أفغانستان، السفارة الأفغانية ببغداد، وغير ذلك من الأمثلة، وقد يفضل أن يقرن المؤلف اسمه بالدرجات العلمية التي حصل عليها، أو يذكر مهنته والمناصب التي شغلها أو يشغلها حالياً.

---

(١) يقابل كلمة صلب بالإنكليزية، Core , or text , or body.

ب: التصدير:

التصدير: عبارة عن بيان أو ملاحظة أو افتتاحية تتقدم النص الأصلي للكتاب، ويحوي التفسيرات التي يعتبرها المؤلف ضرورية في تبيين أهمية الكتاب للقارئ، ويتناول خطة المؤلف في كتابة الكتاب، وتناول موضوعه والغرض منه، والحاجة التي دعته الى تأليف الكتاب، وكيف عالج الموضوع أو ليقدم شكره لمن ساعدوه في إعداد الكتاب.

ويتناول التصدير أحياناً مناقشة الكتب الأُخرى التي صدرت من قبل وعالجت الموضوع نفسه، فقد يقوم المؤلف بعقد مقارنة بين كتابه وهذه الكتب الأخرى، وتعتبر هذه المقارنة مفيدة للمفهرسين وغيرهم.

ويقوم أحياناً كاتب آخر غير الكاتب الأصلي للكتاب بكتابة التصدير، ويمكن أن يكون لهذا التصدير قيمة مستقلة عن الكتاب، لأن المؤلف لا يلجأ الى الاستعانة بكاتب آخر لكتابة تصدير كتابه إلا إذا كان ذا سمعة علمية عالية، وحجة في الموضوع الذي يتناوله الكتاب.

ج: المقدمة أو فاتحة الكتاب:

المقدمة:عبارة عن خطاب تمهيدي، أو حديث يوجهه المؤلف الى القارئ، وتكون في بعض الكتب عبارة عن الفصل الأول من الكتاب، وتتناول موضوع الكتاب بإتقان أكثر وتفصيل أوسع مما ذكر في التصدير، وتحتوي المقدمة على بعض الحقائق التاريخية أو الأدبية أو العلمية التي تسهم في استيعاب الكتاب بأكمله.

ومن القواعد المتبعة أن يقوم بكتابة المقدمة شخص آخر غير مؤلف الكتاب، وعلى هذا فإن المقدمة في هذه الحالة لها قيمة مستقلة عن الكتاب نفسه.

إن ما قلناه عن الخطة يبين أهميتها ويظهر أنها أمر خطير لا يقل عن البحث نفسه، وفي حالة الرسائل الجامعية لا يكون الإشراف على الخطة من واجبات الأستاذ المشرف على الرسالة، ويقول الدكتور علي جواد الطاهر في هذا الصدد مخاطباً طالب الدراسات العليا: « إنك تنجح لدى أُستاذك إن أعددت خطة متكاملة وشفعت هذا الإعداد بعلم في أجزاء الموضوع والخطة وعلم عام وأدب في المخاطبة، والمحادثة، والمسألة، والمناقشة.

وحاذر أن يدفع بك الظن أن تسعى لاستغفال الأستاذ وحاذر أن تبادر بأجوبة وتعليقات لم تسأل عنها، وأن تسيء الأدب من حيث تقصد الى إحسانه ».

إن رفض الخطة أو طلب تعديلها أمر يقع لأنك عملت خطتك ضمن عملك وإخلاصك، وللأستاذ علم أخر وخبرات أُخرى ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ [1].

(١) منهج البحث الأدبي، ص ٦٧

الفصل الثالث

المصادر

إن عنوان البحث الذي ناقشنا طريقة اختياره، وبينّا ميزاته في فصل سابق من هذا الكتاب لا يمكن أنْ يتحول الى مشروع للبحث ما لم يفرغ التلميذ جهده، وينمّي رغبته في جمع المادة العلمية المتعلقة بذلك البحث، ويفتش الباحث عن تلك المادة بالآثار التي خلّفها الإنسان.

وسبق أنْ بينّا أن الماضي يُستخرج من الآثار التي خلّفها السلف، وتلك الآثار هي مصادر التاريخ يوجد بوجودها، ويضيع بضياعها. ويقول الدكتور زريق: إن هذه المصادر على أنواع عديدة: فثمة الأبنية والنقوش والتماثيل، والمخلفات المادية من آنية وألبسة ونقود وما إليها، والوثائق المكتوبة التي دوَّن بها السلف خوالج نفوسهم أو ضروب معاملاتهم، أو التي سجلوا فيها أحداث زمانهم أو أخبار الماضي. وبإيجاز: أن كلَّ أثر مادي أو أدبي خلَّفه لنا الماضي هو مصدر من مصادر التاريخ، بل كثيراً ما يتجاوز المؤرخ هذه الآثار المحسوسة ويحاول استنطاق الحياة الحاضرة لينفذ من خلال مظاهرها المتعددة كاللغة والمعتقدات والعلاقات الاجتماعية الى الاصول التي نشأت منها والتحولات التي طرأت عليها. على أنَّ أهم هذه الآثار بلا جدال ـ إلا في تاريخ العصور المتباعدة في القدم ـ هي الوثائق المكتوبة، وبصفة أخص المؤلفات « التاريخية «

التي سجل فيها السلف الأحداث المعاصرة، او السابقة[١].

وسنقصر حديثنا في هذا الفصل على الوثائق المكتوبة لأهميتها أولاً، ولأن قلة خبرة المبتدئين من الطلبة تجعل الاستفادة من جميع أصناف المصادر من الصعوبة بمكان ثانياً، ولكن ما قلناه آنفاً لا يعني أننا ندعوهم لإهمال تلك المصادر، أو أننا بعزوفنا عن شرح طرق الاستفادة منها نقلل من أهميتها، وكل ما نرجوه من الباحثين أن يجعلوا الحكمة ضالّتهم ينشدونها أينما تصوروا وجودها.

ويبدأ التلميذ عادة بتسجيل عناوين الكتب ذات الصلة ببحثه منذ الشروع بقراءة المواد العلمية المتعلقة بذلك الموضوع، ويمكن القول إن نجاح بحث ما، أو فشله يتوقف على ما يتمتع به مؤلفه من ذكاء وما يبديه من مثابرة وعزم بصدد جمع عناوين الكتب والمجلات التي تحوي المادة العلمية التي تخص موضوعه، أو يجعل التلميذ الناجح مهمة التفتيش عن مصادر بحثه ضالته المنشودة يبحث عنها في كل مكان يحتمل وجودها فيه، فهو يبحث عن تلك المصادر أثناء قراءته لدراسات المتخصصين، وفي الكتب المكتوبة بطريقة علمية، ويفتش عن تلك الكتب بين العناوين التي تحتويها القوائم الببليوغرافية (Bibliograp) المطبوعة، وفي قوائم الكتب (Reading Lists) التي يزود الأساتذة بها طلبتهم لتساعدهم على التوسع في معرفة المواد التي يدرسونها، كما يفتش عن تلك المصادر في فهارس المكتبات، ويستفيد أخيراً من أسماء الكتب التي يزود الأستاذ المشرف طلابه بأسمائها.

وتميل طائفة من الطلبة الى عمل كشاف أو ثبت لمصادرهم في بداية شروعهم في البحث ظناً منهم أن ذلك الإجراء سيجنبهم متاعب هذا العمل في المستقبل، أي عندما

(١) نحن والتاريخ: ص٧٠.

يحين عمل ثبت المصادر عند اكمال البحث، وهناك مآخذ عدة على هذه الطريقة، فيجد من اتبعها من الطلبة انفسهم أمام قائمة مزدحمة بأسماء الكتب، بعضها عديم النفع وبعضها مكرر، وبعضها لا يرى ضرورة لقراءته، يضاف الى ذلك أن من يعمل ثبت مصادره منذ بداية عمله العلمي يميل الى إهمال الأسماء التي عثر عليها في المراحل اللاحقة من العمل، ومن المحتمل أن تكون تلك العناوين هي اكثرها ضرورة وأجدرها بالعناية.

والطريقة المثلى في عمل كشاف للمصادر: هي أن نجعل ذلك الكشاف ينمو ويتسع خلال خطوات البحث لا سابقاً لها.

وعندما يبدأ الطالب قراءة كتاب مفصل ذي علاقة ببحثه المنتظر، عليه أن يدقق بهوامش ذلك الكتاب لأنها تتضمن أسماء الكتب التي استعملها مؤلف الكتاب الآنف الذكر، وينصح الطالب بأن يسجل أسماء تلك الكتب وأسماء مؤلفيها، فتصبح تلك الكتب حينئذ ضمن ثبت مصادره هو، وعندما تسنح الفرصة يجدر بالطالب أن يلقي نظرة عابرة على تلك الكتب فقد يجد أن بعضها لا تفيده في بحثه، بينما يجد البعض الآخر ذا فائدة كبيرة، وعندما يظهر للطالب أن كتاباً أو أكثر من تلك الكتب وثيق الصلة ببحثه المرتقب يجدر به أن ينظر في ثبت مصادر ذلك الكتاب ويضم أسماءها الى ثبت مصادره المرتقب، وبهذه الطريقة ينمو ثبت مصادر الطالب ويتسع مع تقدمه في البحث.

وهناك وسائل أخرى لمعرفة المصادر غير الوسيلة التي ذكرت آنفاً، على الطالب ان يستفيد منها كلما دعت الحاجة الى ذلك، وعلى رأس تلك الوسائل الكشافات التاريخية، ومن بينها الكتاب الموسوم بـ (Guide to Historical Literature) الذي ألفه (G. M. Dutcher) بالاشتراك مع آخرين، والكتاب المذكور لا يضم عناوين الكتب المهمة – سواء كانت من الكتب العامة او الخاصة في حقل التاريخ – حسب، بل يحتوي على مئات من عناوين الكتب الأقل أهمية.

ومن الكتب العربية المفيدة في هذا الباب (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) للشيخ أغا بزرك، وكتاب (الأعلام) للزركلي، و(معجم المؤلفين) لكحالة، و(معجم المطبوعات) لسركيس وغيرها.

وإذا كان العنوان الذي اختاره الطالب من بين العناوين التي بحثت في الموسوعة الإسلامية، أو موسوعة العلوم الاجتماعية وغيرهما من الموسوعات، يكون بوسعه حينئذ أن يحصل على أسماء طائفة كبيرة من أسماء الكتب التي تضمنها ثبت المصادر الذي يدرج في آخر المقال الوارد في تلك الموسوعات.

ومن الجدير بالذكر أن عملية الجمع هذه يجب أن تتلوها أو تصحبها عملية النقد فالمؤرخ الثبت لا يأخذ الوثائق على علاتها، بل يعمد بأساليب من النقد والتمحيص الى فحص كل منها لإظهار قيمته ومدى إمكان الركون إليه في استخراج أخبار الماضي، وقد تكلمنا في الفصل الرابع من الباب الأول من هذا الكتاب عن النقد الداخلي والخارجي للوثيقة.

المصادر والمراجع:

تطلق في اللغتين الانكليزية والفرنسية كلمة مصدر(Source)على الوثائق القديمة، بينما تطلق كلمة مرجع (Reference) على الوثائق الحديثة وهي الوثائق التي كتبها مؤلفون معاصرون، أو من أبناء العصر الحديث في موضوعات قديمة، ومن هذين المنبعين استقى المؤلف الحقائق التاريخية التي ضمنها مؤلفه، أما في العربية فالكتّاب مختلفون في استعمال المصطلحين الآنفي الذكر، وتستعمل طائفة من الكتاب العرب

المحدثين ومن بينهم: الدكتوران أحمد شلبي[١]، وعبد العزيز الدوري[٢] كلمة (المراجع) بمثابة عنوان عام للدلالة على المجموعتين من الوثائق الآنفتي الذكر، ثم يطلق الدوري اصطلاح (المصادر الأصلية)[٣]، وكلا الكتابين يطلقان المراجع الثانوية على الوثائق الحديثة، أما الدكتور علي جواد الطاهر فيستعمل كلمة (صادر) بمثابة عنوان ينضوي تحته كلا النوعين من الوثائق، ثم يعود فيفرق بين نوعي الوثائق ويقول: إن الكتب القديمة وحدها أجدر بإسم المصادر، وأن المؤلفات الحديثة التي كتبها مؤلفون معاصرون، أو من أبناء العصر الحديث في موضوعات قديمة تسمى مراجع[٤].

ونميل الى اقرار وجهة نظر الدكتور علي جواد الطاهر، ونؤيد استعماله للمصطلحين المذكورين آنفاً، يضاف الى ذلك أننا نرى ضرورة وصف الوثائق القديمة (المصادر) بأنها (أولية) للدلالة على قدمها من جهة ولإزالة اللبس الذي قد يحصل من عدم التفريق بينها وبين الوثائق الحديثة من جهة ثانية، ثم نرى أن تبقى كلمة (مراجع) مجردة من الوصف للدلالة على الوثائق الحديثة، ونبني ترجيحنا على أن المصادر: هي المنبع الأول والرئيس الذي تستقي منه أخبار الماضي، ولذلك يكون استعمال اصطلاح (مصادر) بمثابة عنوان تنضوي تحته المصادر الأولية والمراجع معاً ابلغ في الدلالة، وأجدر بالاستعمال من اصطلاح (مراجع) الذي استعمله الدكتوران الدوري وشلبي كما ذكرنا آنفاً.

---

(١) كيف تكتب بحثاً أو رسالة: ص٣٥.

(٢) العصر العباسي الأول (بغداد، ١٩٤٥) ص٢٨٢.

(٣) يظهر ان الدكتور شلبي لم يتقيد بهذه التسمية في جميع الأمكنة التي وردت فيها في كتابه المذكور، إذ نجده يسمي المصادر في ص٤١، المراجع الأصلي (المصادر)، ولا نجد مبرراً لما جرى عليه الدكتور شلبي في هذا الخصوص.

(٤) منهج البحث الأدبي: ص٦٩ ـ ٧٠.

ونختم بحثنا عن المصادر والمراجع بالملاحظات التالية:

أولاً: إذا عمد المؤرخ الى البحث عن المصادر المتعلقة بموضوعه وجب عليه أن يستقصي هذا البحث الى أبعد حد ممكن، فلا يزدري أيّاً من المصادر أو يهمله لأن أضألها وأحقرها لدى النظرة الأولى، قد يغدو بعد التحقيق أشدها خطورة وأغناها بالمعلومات.

ثانياً: إن المصادر الأولية هي أقدم ما يحوي مادة عن موضوع ما لذا وجب الاعتماد عليها والرجوع إليها، وكلما كانت الحقائق التاريخية مستقاة من المصادر الأولية عظمت قيمة البحث، وبخاصة إذا كانت هذه الحقائق لم تصل إليها يد من قبل ولم يسبق لأحد أن اقتبسها، ويتحقق ذلك في حالة استعمال المخطوطات التي لم يسبق نشرها أو الاقتباس منها كما يتحقق عندما تصبح الوثائق الرسمية ومذكرات الساسة وغيرهم في متناول الباحثين لأول مرة.

ثالثاً: معاصرة كاتب الوثيقة التاريخية للفترة التي يروي حوادثها تجعلنا نرجح أخباره التي أوردها

في تلك الوثيقة شريطة أن تسلم تلك الوثيقة من التزوير، وأن يخضع مؤلفها لمقياس الجرح والتعديل.

رابعاً: قرب الصلة الزمنية بين كاتب الوثيقة وبين الفترة التي يروي أخبارها، يجعل أخباره مرجحة على الأخبار التي وردت في وثائق متأخرة عن تلك الفترة، فلا يحق لنا مثلاً أن نعتمد على كتاب السيوطي (ت ٩١١ هـ) الموسوم بـ (تاريخ الخلفاء) فيما أورده الطبري (ت٣١٠هـ) عن تاريخ الخلفاء أنفسهم.

خامساً: إن نزاهة المؤرخ واتصافه بالتدقيق أمران ضروريان، ولا ينظر في الاعتبارات السابقة إلا بعد توفر الموضوعية والنزاهة في المؤرخ.

سادساً: لا يجوز الاعتماد على النقل غير المباشر إلا في حالة عدم توفر المصدر المنقول عنه، فلا يصح اعتماد ابن الأثير مثلاً فيما نقل عن تاريخ الطبري مع توفر كتاب الطبري، أما نقل الحقائق التاريخية من المراجع التي استقت تلك الحقائق من المصادر فهو محظور كلية، فلا يصح ان نعتمد على فلهاوزن مثلاً فيما نقله عن الطبري.

سابعاً: إن الحقائق التاريخية مكانها المصادر الأولية، ولا ينقل عن المراجع إلا آراء كتابها فقط، فلا يصح أن تأخذ تاريخ وفاة ابن إسحاق مثلاً من كتابات مرغولوث أو حسن إبراهيم حسن وأمثالها، يضاف الى ذلك أن المراجع نسيء أحياناً فهم ما كتب في المصادر، وان كتابها أحياناً يلونون المادة بلون خاص يبعدها عن الأصل الذي سيقت إليه.

ثامناً: يسجل الطالب أسماء المصادر التي جمعها على جذاذات - بطاقات - ويفضل أن تكون من ذات الحجم ٥×٨ بوصات، وتحتوي البطاقة التي تخصص لكل كتاب إسم المؤلف كاملاً واسم الكتاب كاملاً أيضاً، ومكان طبع الكتاب وزمانه. كما تحوي اسم المحقق أو الهيئة إذا كانت الطبعة محققة تحقيقاً علمياً. ويفضل أن يدون في البطاقة رقم الكتاب الذي خصصته له المكتبة واسم المكتبة التي استعير منها إذا كان الكتاب مستعاراً، ليسهل الرجوع إليه عند الحاجة.

ويحسن بالطالب أن يسجل على البطاقة نفسها معلومات مختصرة جداً تتعلق بموضوعية المؤلف أو عدمها، وتبين النواحي الرئيسة التي ركز عليها اهتمامه في كتابه المذكور، وللطالب أن يستعين بالمجلات المختصة بتقييم الكتب، وبالقوائم البيبلوغرافية في المكتبات الشهيرة، وبالمقدمات التي يكتبها غير المؤلف لبعض الكتب للحصول على تلك العبارات المقتضبة التي يدونها على البطاقة تحت اسم الكتاب عادة، وسيجد الطالب

ان تلك المعلومات على ضآلتها تفيده عندما يقتبس نصوصاً من الكتب لاستعمالها في بحثه.

وتلظم البطاقات التي تحوي اسم المصدر وتتضمن معلومات عنه بعد ثقبها من الوسط بقضيب معدني ينتهي طرفه الخارجي برأس مستدير الشكل يرخى عند إدخال البطاقات ويشدّ عند تثبيتها. وتوضع البطاقات التي يحملها القضيب المذكور في جرار من حديد أو خشب على شكل متوازي المستطيلات ويحفظ عادة في مكتبة الطالب الخاصة. وتكون محتويات الجرار بمثابة ثبت المصادر المرتقب والذي ينمو ويتسع كلما تقدم البحث كما بينا في موضع آخر من هذا الفصل.

وترتب المصادر حسب تسلسلها الزمني ابتداء بالأقدم وأكثر ما يقصد بالتاريخ الأقدم تاريخ وفاة المؤلف، لأن العلم بتاريخ التأليف أمر يعسر العلم به، ولو تيسر كان مناسباً أن يؤخذ بنظر الاعتبار ولكن المألوف ان المؤلف يبقى يعلق ويضيف الى كتابه حتى نهايته.

والترتيب الزمني يعين للطالب نقطة البداية، فيبدأ بالمصدر الأقدم. وهناك فوائد يجنيها الباحث عند التزامه بالترتيب الزمني. وقد أورد الدكتور علي جواد الطاهر تفصيلات عنها[1].

أما المراجع فترتب حسب طريقة الألف باء التي سنشرحها في موضع آخر من هذا الكتاب، أما ما يتعلق بتثبيت المعلومات المقتضبة عن المؤلف والكتاب على البطاقة الخاصة بكل مرجع فالأمر سيان بين المصادر والمراجع في هذا الخصوص.

(١) منهج البحث الأدبي: ص٧٤ – ٥.

الفصل الرابع
جمع المعلومات وتنسيقها

هناك عدة طرق لجمع المعلومات من المصادر والمراجع أهمها:

أولاً: نقل المعلومات الخاصة بالبحث المرتقب على دفتر واحد، أو دفاتر متعددة ينسق فيه، أو فيها النقل بشكل يرتأيه الكاتب.

فقد يكتب على وجه واحد من الصفحة ويترك الوجه الآخر بياضاً، ثم يترك هامشاً كبيراً للصفحة يستعمله لكتابة ما يدل عليه الخبر من أجزاء الخطة.

فلو فرضنا ان رسالة ما تتكون من خمسة فصول، وبدأ الطالب في تدوين المعلومات الموجودة في الطبري عن تلك الفصول الخمسة في الدفتر، فوجد معلومات عن الفصل الأول تشغل فرضاً صفحتين من الدفتر، وعن الثاني ثلاث صفحات، وعن الرابع اربع صفحات، وعن الخامس صفحة واحدة، ثم تناول تاريخ مسكويه، فنقل في صفحات متعاقبة ما تيسر له من المعلومات عن عناوين فصول رسالته بالتعاقب، وهكذا يستمر الباحث المبتدئ في تناول الكتب الأُخرى كما رتبها في ثبت المصادر الذي أشرنا إليه في الفصل السابق، وقد يكون عدد تلك الكتب كما هي الحال في الرسائل الجامعية أكثر من مئة، فتكون المعلومات التي تخص الفصل الأول من الرسالة موزعة في أكثر من مائة مكان، وكذا قل عن الفصل الثاني والثالث... الخ.

واذا أراد جمع تلك المعلومات في مكان واحد عند إعداد مسودة الرسالة، يقلب مئات الصفحات التي قد تكون في أكثر من دفتر واحد لجمع المعلومات المطلوبة في المكان المعد لذلك الفصل في المسودة.

ولا شك أن تلك الطريقة رغم أننا وصفناها في أحسن وجوه استعمالها تستلزم كثيراً من الوقت أولا، ومن شأنها ان تجعل احتمال ضياع طائفة من المعلومات الثمينة وارداً ثانياً، ويتطلب حفظ دفاتر الملاحظات مكاناً قد لا يتوفر لكثير من التلاميذ ثالثاً.

ويقول كنت (Kent) في معرض كلامه عن الطريقة الآنفة الذكر: (تعد طريقة النقل على الدفاتر أسوء جميع الانظمة المتبعة في نقل المعلومات من المصادر، فالدفتر بعد أن سوّد من جراء تدوين المعلومات المقتبسة من المصادر يكون مفيداً إذا كانت تلك المعلومات نظمت بالشكل الذي ستستعمل فيه عند التأليف، والواقع إن الباحث عندما يبدأ بنقل المعلومات لم تكن له فكرة دقيقة جداً عن التركيب النهائي لمقالته، أو رسالته المرتقبة، ونتيجة لذلك ليس بوسعه أن يقرأ، ثم يدون المعلومات ضمن نموذج أو مثال (Pattern) نظم، أو أُعد مسبقاً، وتكون النتيجة في حالة استعمال طريقة النقل على الدفاتر من المصادر، أن يحشر التلميذ في صفحة واحدة من الدفتر مجموعة من الفرضيات، وعندما يحين وقت نقل المعلومات من الدفتر الى المسودة يجد التلميذ نفسه مضطراً لتقليب صفحات دفتره جيئة وذهوباً لإيجاد ما يرغب نقله من معلومات الى المسودة وعندئذ يصبح احتمال ضياع أثمن جزء من تلك المعلومات وارداً)[1].

وسنرى أن **الطريقة الثانية** لنقل المعلومات من المصادر، وهي طريقة النقل على الجذاذات، او البطاقات التي سنتناول وصفها فيما يلي من السطور تجنبنا كثيراً من تلك

(1) Kent , Op. Cit ,. P. 36 – 7.

المشكلات.

إن طريقة جمع المعلومات على جذاذات أو بطاقات[١]، تعد أفضل أنواع الأنظمة المستعملة في جمع المعلومات من المصادر[٢]. ويصف علي جواد الطاهر طريقة الجذاذات بأنها: (أكثر من سواها ضبطاً ودقة، وأيسر في التصنيف، وأنفع لدى استعمال المعلومات، وأدوم في إمكان الرجوع إليها، وأجدى في إمكان الاستفادة منها في مجال آخر لدى اللزوم)[٣]، وتكون البطاقات مستطيلة الشكل في الغالب، وهي على ثلاث فصائل ومقاساتها ٣× ٥ بوصات، و ٤ × ٦، و ٥ × ٨، على التوالي.

وتباع البطاقات الآنفة الذكر بأثمان زهيدة في محلات بيع الورق، وتباع معها عادة صناديق خاصة بها. ويوجد نوعان من البطاقات: النوع الأول: مفهرس بالطريقة الألفبائية، أما النوع الثاني: فهو خلو من حروف الفهرسة، وقد تكون غفلاً من التخطيط، أو مخططة، كما تكون بيضاء أو ذات ألوان مختلفة، وتفضل طائفة من الطلبة استعمال البطاقات ذات الألوان المختلفة كما تفضل تخصيص لون معين لكل فصل من فصول البحث، ويساعد استعمال البطاقات ذات الألوان المختلفة على التمييز بينها لا سيما إن اعدادها تكون كبيرة، ويصبح حينئذ اختلاط بعضها مع البعض الآخر أمراً محتمل الوقوع.

وتشد تلك البطاقات بعضها البعض بأحزمة من المطاط الرفيع تكون ملونة عادة بألوان البطاقات، وتضم الجذاذات لبعضها فتكونا حزماً مربوطة بأحزمة من المطاط

(١) ان كلمة (جذاذة) تسمية فصيحة لكلمة (بطاقة) المستحدثة، ويقابل الكلمتين بالإنكليزية كلمة (Card)، وبالفرنسية (Fiche) أي كارت، وفيشة بالعربية الدارجة.

(2) Kent , Op. Cit ,. P. 37.

(٣) منهج البحث الأدبي: ص٨١.

ليسهل ادخال البطاقات الى الحزمة، أو اخراجها منها دون الحاجة الى حل العقدة وربطها من جديد بعد إضافة بطاقات جديدة الى الحزمة أو إخراج كل البطاقات القديمة، أو بعضها منها.

وعندما يشرع الطالب بجمع المعلومات، فتدوينها على البطاقات يبدأ بقراءة المصادر بدلالة الفهارس إن وجدت، ويلتقط من بين معلوماتها ما له علاقة بموضوعه ناقلاً كل خبر، وكل جزء من خبر على جذاذة خاصة بعد ان يكتب على زاويتها العليا اليمنى اسم الموضوع الذي ينطوي تحته من موضوعات الخطة ونقاطها، أو ما يمكن أن ينتفع به خارج نطاق الخطة وغن لم يدرج فيها.

أما على الزاوية العليا اليسرى للبطاقة فيدون إسم المؤلف والكتاب بصورة مختصرة، ثم الجزء ان وجد والصفحة، وتدون الكتابة على عرض البطاقة وعلى وجه واحد منها، وإليك خلاصة ما أورده كنت (Kent) عن استعمال نظام البطاقات عند جمع معلومات من المصادر يقول كنت: (يشترط في من يستعمل نظام البطاقات أن يكون حريصاً على نقل حقيقة واحدة على ظهر كل بطاقة، ويوفر الإجراء الآنف الذكر للطالب حرية العمل أو الاختيار عندما يرتب بطاقاته قبل الشروع بتأليف بحثه، كما عليه أن يتذكر أيضاً إن ما يبديه من حرص شديد عند انتقاء المعلومات من المصادر وتدوينها على ظهر البطاقة لا يعصمه من العودة الى المصادر مرات عديدة عندما يظهر التقصي والتدقيق اثناء الكتابة، ضرورة ذلك الرجوع. ويوصي كنت بأن تحمل البطاقة التي تدون عليها اسم المصدر المستقاة منه تلك المعلومات كما يشترط كتابة اسم مؤلف الكتاب ورقم المجلد إن وجد، ورقم الصفحة على البطاقة نفسها، وقد يستعاض عن الأسماء آنفة الذكر برموز تدل عليها، وهناك استثناءات لما سبق وذلك ان التواريخ التي حصلت فيها الحوادث الشهيرة كسقوط الدولة الرومانية مثلاً، او تاريخ قيام الحرب العالمية الأولى، أو تاريخ

سقوط بغداد على يد المغول، وغير ذلك لا يشترط ذكر مصادرها، وقد يجد التلميذ أنه من الضروري أن يدون على البطاقة فضلاً عن ذكر المعلومات المتعلقة بالمصدر عبارة مختصرة تشير الى جزء معين من الخطة ستستعمل المعلومات التي حوتها البطاقة لمعالجته، وليس من السهولة بمكان أن يهتدي التلميذ خلال فترة تدوين المعلومات على البطاقة الى العبارات المختصرة التي تناسب حاجات البحث عندما يضع هيكله الكامل حينما يشرع بالكتابة، وبالرغم من ذلك فأن التلميذ سيجد ان العبارات الآنفة الذكر إنْ أحسن اختيارها، وان العناوين التي احتوتها تلك العبارات تنسجم مع حاجات البحث، تكون حينئذ ذات فائدة كبيرة، ويكون لها دور كبير في تسهيل عملية تنسيق البحث، ثم كتابته بشكله النهائي(١).

وقد يكون من المفيد أن نشير هنا الى دور التكوين الفكري للباحث في تهيئة البحث، فالتلميذ المبتديء الذي ينبري للكتابة لأول مرة، والذي تنقصه مستلزمات اتقان صناعة التاريخ التي يجيدها الباحثون المتمرسون يجد ذلك التلميذ نفسه أسيراً للمعلومات التي جمعها على ظهور الجذاذات على بطون الكتب، فهو يستطيع أن يكتب بسرعة ويسر طالما تكون الجذاذات منتشرة أمامه، فيتصور والحالة هذه لوقت ما في الأقل أن اتقان طريقة جمع المعلومات على الجذاذات وترتيبها طبقاً لما تتطلبه الصناعة التاريخية يؤهله لأن يكتب بحثاً، ولكن الواقع خلاف ذلك إذ ان التلميذ الذي يتمتع بالنضج ويتصف بالاتزان، ويتلمس طريقه الصحيح بخطى ثابتة وأكيدة سريعاً ما يكتشف انه ليس من الضروري أن يلتصق عند كتابة بحثه التصاقاً كلياً بجذاذاته التي جمع معلوماتها من بطون الكتب، فكتابة التاريخ عملية خلق وإبداع لا تقف عند جمع معلومات، ولا تقف متناثرة سبق ان جمعها من الكتب، ومن المفيد أن نشير هنا الى ما نسب الى كارل بيكر من انه قال:

(1) Kent , Op. Cit ,. PP. 37 – 8 .

(إذا اقتبست معلومات من مصدر تكون قد قمت بانتحال آراء مؤلف آخر، واستعملت كلماته، بينما إذا أخذت المعلومات نفسها من نصف دزينة من المصادر تكون قد أنجزت عملاً علمياً). ان القول المذكور ليس بصحيح كلياً، ونتيجة لذلك نقرر هنا ان الصناعة التاريخية عندما يراد لها أن تؤدي مهمتها على الوجه الأكمل تتطلب شيئاً آخر يضاف الى فن جمع المعلومات، وذلك الشيء هو ما يقوم به المؤلف من تركيب وتأليف للمادة التاريخية التي جمع معلومات عنها، وتعد عملية التركيب والتأليف من صميم عمل المؤلف ومن مستلزمات نجاح مهمته. ولا يمكن الحصول على تلك القدرة عن طريق العمل الدؤوب في جمع المعلومات وتدوينها على الجذاذات كما لا تحصل في الالتصاق في محتويات تلك الجذاذات.

إن القدرة التي تمكن الباحث من التأليف تأتي غالباً عندما يكون التلميذ مسترخياً في مكان ينشد فيه الراحة بعيداً عن حزم الجذاذات. كما أن تلك القدرة لا تتوفر عن طريق مجرد الرغبة في وجودها لأنها كامنة في أعماق الفرد.

ويجتهد الفرد في إيقاظ تلك القدرة وتنشيطها، والتفكير في بعثها ملياً ليستعين بها في إنجاز بحث معتمد، ومتصف بالتدقيق في الوقت نفسه [1]، وينصح الدكتور علي جواد الطالب الذي يستعمل طريقة تدوين المعلومات على البطاقات بقوله: (إنك إذا تنقل - وأن كنت في مرحلة أولى يمكن ان تعد صماء (آلية) - لا بد لك من ان تلاحظ ما تناقش به هذه الأخبار التي تقررها، أو تناقش جزءاً منها، كأن ترى عوجاً في النص ونقصاً في التحقيق واعتباطاً في النسبة، وان كلمة لم توضع في مكانها، وان تصحيفاً قد فات المحقق، وان ثقة وضعها المحقق بإحدى المخطوطات على غير قاعدة، وكأن تنبه الى تناقض أوامر لا يصدق، وغير منسجم لا بأس على ان تنقد على ما تقرأ لأن الحاسة

(1) Ibid , PP , 39 – 40 .

الناقدة من شروط الباحث، وان العملية النقدية تلازمه في كل خطوة، وليس هناك عمل آلي بمعنى الكلمة لديه، وكل ما في الأمر انك في مرحلة نقل، وهذه لا تسمح لك بالوقفة الطويلة، أو أن مادة المناقشة لما تتوافر لديك فيها، ولكن ليس من المعقول ان تترك ما يمر بخاطرك يذهب هباء، ولهذا وجب ان تسجل ملاحظاتك هذه على وجهها الموجز على هامش الجذاذة بشكل واضح، أو على جذاذة متصلة بجذاذة الخبر في الحالة التي يطول فيها نقدك استعداداً لمرحلة النقد الأساسية، أما إذا طال التعليق ولم يرد عليك بالشكل الذي تجزم به وترتضيه، فيحسن ان تستفيد من دفترك المساعد، وتكتب كل ما يعن لك ويدور بخلدك[1].

ثالثاً: طريقة الدوسية المقسم:

و الدوسية المقسم: عبارة عن غلاف من الورق السميك (الكارتون) ذي كعب يتفاوت عرضه بتفاوت حجم الدوسية، وبهذا الكعب حلقتان يمكن فتحهما واقفالهما، ويؤتي ببعضة اوراق مخرومة لتوضع في هاتين الحلقتين، ومن الممكن ان يضاف ما قد يلزم من أوراق في أي وقت واي مكان من الدوسية، وهذه ميزة تمتاز بها الدوسية عن الدفاتر.

وتقسم الدوسية الى أقسام متعددة يكون القسم الأخير منها للمصادر، وتقسم الدوسية الى اقسام عددها مساوٍ لعدد فصول الرسالة كما اقترحها الطالب في الخطة، ومن المستحسن أن يضيف قسماً احتياطياً لفصل، أو فقرة جديدة لم يدرجها في الخطة، وبين كل قسمين توضع ورقة من نوع آخر سميك لها لسان بارز بحيث تكون هذه الألسنة سلسلة متجاورة الحلقات، ويكتب على وجه كل لسان عنوان الفصل المواجه للكتابة،

(١) منهج البحث الأدبي: ص٨٤.

وعلى ظهر اللسان عنوان الفصل الآخر المقابل بحيث يكون من السهل فتح الدوسية عند الفصل المطلوب.

ويبدأ الطالب قراءته بعد ذلك، ويدون كل ما له علاقة بموضوعه في موضعه من الدوسية ملاحظاً تقسيم اوراق كل فصل الى مجموعات، وتخصيص كل مجموعة الى قسم من اقسام الفصل. إن ما أوردناه عن الدوسية المقسمة ملخص عن كتاب شلبي الذي يعتقد كاتبه إن طريقة الدوسية أفضل من طريقة البطاقات لأسباب ذكرها[1]، ولكننا نعتقد إن طريقة تدوين المعلومات على البطاقات أفضل لأسباب أوردناها قبل قليل.

ويورد الدكتور الطاهر طائفة من الفوائد وينصح الطالب بالاستفادة منها لتجنبه بعض ما يلاقيه من مشكلات أثناء الجمع.

وإليك أهم تلك الفوائد ملخصة عما أورده، وقد اغفلنا ذكر ما رأينا عدم ضرورته وما رأيناه تكراراً لمادة ذكرناها في مواضعها من هذا الكتاب:

١ – الدقة في النقل: يوصي الدكتور الطاهر التلميذ بنقل المادة كما هي دون تصرف أو تصحيح خطأ، وإن رأى الطالب ما يحسن أن يزاد نبه على ذلك في الهامش، وإذا أراد أن يضمنه النص سمح له بذلك بعد وضعه بين معقوفتين أو عضادتين [ ].

٢ – إذا كان الخبر الذي يراد نقله يتوزع على آخر صفحة وأول صفحة أُخرى من الكتاب، فلا بد من أن يشار الى ذلك على الجذاذة بأن يوضع خط مائل بعد الكلمة التي تنتهي بها الصفحة الأولى، ثم يزاد رقم الصفحة الثانية الى الرقم الذي كتبته تحت إسم المؤلف بعد وضع خط بين الرقمين (٧٤ – ٧٥ مثلاً) كما يوضع الرقم الجديد على الهامش مقابل الخط المائل.

(١) كيف تكتب بحثاً أو رسالة، ص٦١ – ٦٢.

٣ – علامات الترقيم كثيرة أخذنا أغلبها عن الغرب، ولم يكن للعرب منها إلا النقطة، وكانت ترسم مجوفة، ويستعمل الكتاب المحدثون علامات الترقيم الغربية ، ؛: ؟... الأقواس المزدوجة (( )) للتضمين، والمنفردة ( ) لعدة اغراض معروفة المعقوفتان [ ] لزيادة حرف، او كلمة لإقامة معنى، أو أصلاح وزن، وإذا كان النص خالياً من العلامات نقلته كما هو خشية أن تضع علامة في غير مكانها وقد يؤدي ذلك الى خلل في المعنى.

٤ – إذا رأيت في النص الذي أمامك خطأ في النحو، أو في المعنى لا يعود الى المطبعة، أو المحقق وضعت وراء الكلمة الخطأ (كذا) بين قوسين ترجمة لما يعمله الغربيون إذ يضعون كلمة ((Sic)).

٥ – إذا كان النص الذي أمامك طويلاً وكنت متأكداً من أن بحثك لا يحتاج منه إلا الى جمل محدودة منبثة في غضون هذا النص الطويل، فلا بأس في أن تنقل من النص الجمل التي تراها ضرورية لك وتترك الباقي بشرط أن تضع نقاطاً ثلاثاً عادة مكان كل مقطع مهمل لتعرف ذلك عند استعمال الجذاذات.

٦ – إذا استدعى طول الخبر أكثر من جذاذة واحدة ملأت الجذاذة الأولى بقسم منه محافظاً على الدقة والوضوح، واضعاً تحت الموضوع الذي وضعته على الزاويةِ العليا اليمنى العليا للجذاذة رقم (١)، ثم تنتقل الى جذاذة ثانية، أو ثالثة ورابعة، محتفظاً على هذه الزاوية بالموضوع الواحد مسلسلاً أرقام الجذاذات الجديدة ذات الموضوع الواحد (٢)، (٣)...

٧ – الأصل في الخبر أو النص أن ينقل كاملاً على الجذاذة أو الجذاذات.

٨ – إذا كان للمؤلف الواحد أكثر من كتاب ترجع إليه في بحثك، فأنك في هذه الحالة

تكتب الى يسار إسمه في الزاوية العليا اليسرى للجذاذة مختصراً لعنوان الكتاب.

٩ - إذا وجدت معلومات تتصل بالمؤلف سجلت ذلك على جذاذة خاصة بالمصدر، إن ذلك ينفعك لدى دراسة المصادر في الأقل.

١٠ - إن أهم ما ينقل من المراجع ما يأتي:

أ - خبر روى عن مصدر أو مرجع غير متيسر مطلقاً، وتشير في هذه الحالة الى المرجع المنقول عنه.

ب - الخطأ في أخبارها، وأرقامها لتنبه على الفظيع منها.

ج - الرأي الخاص الذي أدلى به المؤلف، وبخاصة إذا أردت التعليق سواء في السلب أو الإيجاب[١].

ومن الجدير بالذكر ان هناك إشارات يستعملها الكتاب الغربيون لأغراض مختلفة، ونعتقد ان الإلمام بها أمر ضروري لمن يقرأون لغة غربية حديثة، ولا شك أن طائفة من هذه الرموز يعرض للطالب أثناء عملية جمع المادة، أو أنها عرضت اثناء قراءته السابقة، ولكنه لم يكن ملماً الماماً تاماً بمدلولاتها وإليك اهمها:

تاريخ = D.

حرف نفي (لا) أو ملاحظة = N.

مخطوطات = Mss.

مخطوطة = Ms.

في المكان السابق = Loc.cit.

---

(١) منهج البحث الأدبي: ص٨٥ -٨٦.

وما بعدها = Sq.

وما أو فما بعدها من عدة صفحات = sqq.

فما قبل = Supra.

(كذا) جاء هكذا في الأصل = Sic.

المصدر السابق = Op.cit.

فيما بعد = Infra.

ارجع = CF.

مقالة = Art .

أيضاً = Ibid.

ونود أن نشير الى أن رمزا (N.D.) ترجمتا الى العربية (لا. ت) أو (د. ت) أي أن تاريخ طبع الكتاب غير موجود، أو أن الكتاب طبع دون ذكر تاريخ الطبع.

وقبل الانتهاء من الكلام على مرحلة جمع المادة نقرر: أن الطالب يحتاج قبيل انتهائه من تلك المرحلة وانتقاله الى مرحلة الكتابة الى التريث وامعان النظر في عدة أمور، ولعل أهم ما يجب عليه إعادة فحصه وتقويمه استعداداً للمرحلة الجديدة أولاً: الخطة: قد يجد الطالب بعد أن جمع ما استطاع الحصول عليه من مادة عن محتويات الخطة بشكلها الأولي أن إجراء تحوير في الخطة او في جزء أو أكثر من أجزائها بما في ذلك حذف بعض محتوياتها، أو إضافة أجزاء جديدة إليها يصبح أمراً ضرورياً، وقد يكون التغيير لا في الحذف أو الإضافة حسب، بل في مجال التقديم او التأخير سواء كان ذلك في عناوين الفصول الرئيسة ام في العناوين الثانوية (Sub – Topice) التي تتفرع من العناوين العامة للفصول.

ومن الجدير بالذكر إن التعديل المشار إليه في أعلاه يحدث غالباً في هذه المرحلة فقد يعن الطالب ما يجعله يحدث تعديلاً في أثناء الكتابة، وليس هناك ما يمنع من ذلك.

وعلى الطالب قبل إجراء تعديل الخطة أن يطلع الأستاذ المشرف على مقترحاته الجديدة شافعاً اقتراحاته بالأدلة والتسبيب السليم فان أقر الأستاذ تلك المقترحات ضمنها الطالب في خطته ونقحها استعداداً للمرحلة التالية، وهي مرحلة كتابة البحث، وليس من مصلحة الطالب ومن حقه أن يستغفل الأستاذ في ذلك رغبة في انجاز عمله بسرعة لأن نتائج العمل الناقص قد تكون خطيرة تصل أحياناً الى رفض البحث كلية.
ثانياً: إعادة النظر في المادة التي جمعها الطالب من المصادر والمراجع على أن يتناول ذلك ما يأتي:

أ – التأكد من أن كل حزمة من البطاقات المتضمنة للمادة المجموعة لا تحوي إلا البطاقات أو الأوراق الخاصة بالفصل أو جزء الفصل، أو اي جزء تضمنته الخطة، أو معلومات لا تتضمنها الخطة، ولكنها ضرورية للبحث في مجال التعليق او تقييم المصادر او غير ذلك، يتأكد ان الحزمة تحوي تلك البطاقات دون غيرها.

ب – إبعاد البطاقات أو الأوراق التي أصبحت زائدة بناء على التغيرات التي اجريت في الخطة بعد إعادة النظر فيها كما بينا في الفقرة (١)، ولا يصح اتلافها لأنها تحوي مادة قد تفيد في مجالات أخرى خارج نطاق الرسالة التي يكون الطالب في صدد كتابتها.

ج – إعادة قراءة العناوين الرئيسة والثانوية على السواء الموضوعة على مجموعة من البطاقات للتأكد من انها مطابقة للخطة في شكلها الجديد، وذلك لإزالة كل لبس أو غموض فيها إن وجد.

د – استعراض حزم البطاقات وفحص محتوياتها للوقوف على التعليقات والإشارات

المقتضبة التي أشرنا الى درجها في البطاقات إثناء عملية الجمع أولاً، والنظر في المادة التي جمعها الطالب عن نقاط أو قضايا لم تدرج في الخطة وتعيين أمكنتها التقريبية في هيكل البحث المرتقب ثانياً.

إن الاقتراحات والتوصيات التي ضمنتها في الفقرة رقم (٢) الواردة في اعلاه يجمل في الطالب المبتدئ ان يراعيها، وهي داخلة ضمن عمليتي التنسيق والتفريق للمادة المجموعة من المصادر والمراجع، وتساعده مراعاتها عندما يشرع بكتابة المسودة أولاً، وعند تبييض الكتاب بشكله النهائي ثانياً.

أن تطبيق تلك المقترحات وغيرها مما يراه الطالب ضرورياً لسد الثغرات الموجودة في المادة المجموعة سواء كان ذلك متعلقاً بالإسهاب أو الاقتضاب، أو متعلقاً بوجود نقص في المادة حول نقطة أو أكثر من نقاط البحث لم يدركه أو فاته اثناء الجمع الى ما هنالك من أمور لا يمكن حصرها هنا، وأن إدراكها من مهمة الباحث الأصلي. أقول: ان تطبيق تلك المقترحات بداية حسنة وخطوة ممهدة وضرورية في الوقت نفسه للمرحلة القادمة من مراحل إعداد البحث، وهي مرحلة كتابة ذلك البحث الذي سنتناولها في الفصل القادم من هذا الكتاب.

الفصل الخامس
كتابة الرسالة

تمهيد:

تستهدف مراحل إعداد الرسالة التي تناولنا أهمها في الفصول السابقة استخراج حقيقة الماضي بجزئيتها وكليتها، ولم يتوصل الباحث الى معرفة الحقائق التاريخية دون بذل جهود علمية قوامها تطبيق منهج البحث التاريخ، أو اصول البحث التاريخي الذي تكلمنا عن كثير من قواعده في الفصول السابقة من هذا الكتاب.

وبعد أن يقطع الطالب مرحلة قراءة المراجع، ومرحلة جمع المادة، ومرحلة فرز البطاقات وتنسيقها ينتقل الى مرحلة كتابة البحث التي هي أكثر المراحل صعوبة، وأجدرها بالصبر والمثابرة، إذ فيها تظهر ذاتية الطالب وتبرز شخصيته بروزاً واضحاً، وتقوم تلك المرحلة على اختيار الضروري من المادة التي جمعها وترتيب ما اختاره الطالب منها، ثم كتابته ليصبح بحثاً يفيد منه القراء ويسهم في تقدم المعرفة، وليست الكتابة تسويد الصحائف بالمادة المجموعة، بل هي عملية فكرية معقدة تتطلب كثيراً من الصبر والتدقيق. يقول الدكتور زريق: إن المؤرخ يتناول الروايات بعد نقدها، ثم يقارن بين تلك الروايات ويقابلها بسواها من الروايات المنقودة مثلها، وما يزال يقابل ويقارن ويقارب ويوازن، مقدماً في ذلك الشك على التصديق والاتهام على التبرئة الى أن يكوّن

قناعة ما عن الحادث وكيفية وقوعه، فإذا فعل هذا وجد أنه لا يستطيع الجزم في أحكامه إلا في أحوال نادرة، وأنه مضطر الى ترجيح رأي على رأي أو قناعة على قناعة أو الى مجرد ذكر الروايات دون اتخاذ موقف منها الى أن تظهر روايات او تحقيقات جديدة تقوي عنده الشك او الترجيح، أو تمكنه من الأثبات أو الإنكار. هذه الأحكام التي يطلقها المؤرخ على الحوادث هي (الحقائق) المفردة التي تتبين له من الماضي، وهي أشبه ما تكون بالحجارة المتفرقة التي تحتاج الى جمع ورصف وترتيب ليتكون منها البناء كاملاً، أو أقرب ما يمكن الى الكمال، ثم يستطرد الكاتب فيبين لنا الصعوبات التي تعترض المؤرخ نتيجة لفقدان المصادر، أو صمتها ويقترح على المؤرخ أن يتخذ من الاجتهاد والقياس وسيلة لسد الثغرة التي يجدها اثناء كتابة التاريخ، ويقصد الكاتب بالاجتهاد والقياس: استنتاج ما يمكن ان يكون قد حدث فعلاً في ظروف مماثلة، او الى قوانين طبيعية واجتماعية يستمدها من العلوم الأخرى، ولكن الكاتب يحذرنا من التمادي باستعمال الاستنتاج والقياس والاجتهاد بقوله: (ولا غنى عن القول ان القياس والاستنتاج والاجتهاد يجب ان تكون متصفة بالحذر والاحتياط كي لا يجمح بالمؤرخ الخيال، او يغرب به التكهن، وكي لا يبعد عن الواقع التاريخي كما حدث فعلاً)[1].

وننتقل بك إيها الطالب الى المرحلة الفعلية لكتابة الرسالة، أو المقالة العلمية التي تحدثنا عن بعض صفاتها ومؤهلات كاتبها في أعلاه. هب أنك افتتحت المرحلة الجديدة وأمامك خطة البحث المنقحة بفصولها، وفروع فصولها أرقاماً و حروفاً، ويقترح عليك كنت (Kent) في هذه المرحلة أن تمعن النظر مجدداً في الخطة، ثم تثير التساؤلات التالية:

بأي جزء من المادة المجموعة أبدأ ؟ أن مداخل البحث كثيرة كما تظهر على مخطط الرسالة، أو المقالة، فأي واحد منها تصلح فكرته لأن تكون بداية طبيعية ثم تقود في

(١) نحن والتاريخ: ص٧٤.

الوقت نفسه الى ما يليها من الأفكار التي تضمنها البحث ؟ ان جواب السؤالين السابقين، وأمثالها لا تحكمه قاعدة، ولا يوجد كتاب تعليمي في أصول البحث يحوي تلك الأجوبة، وتكمن الأجوبة المطلوبة في توفر قدرة الكاتب على تلمس الانسجام، وعلى إدراك ضرورات تسلسل الأفكار عندما ينبري لعرض افكاره، وبالرغم من ذلك فهناك امور يساعد اتباعها على تنمية تلك القدرة وأهمها: يجب ان يدرك الطالب ان هناك نوعاً من الحس، أو القدرة على التنظيم يتوفر لدى كاتب اي كتاب قرأ كتابه و اي محاضر سمعه فأستحسنه، فالطالب يستطيع أن ينمي الحس الذي ينشده ويغرس القدرة المرغوبة في نفسه عندما يتلمس مواطنها عند الآخرين، ويتحقق ذلك التلمس عندما يخصص الطالب وقتاً كافياً لتدقيق الكتب الجيدة ليلاحظ الفقر كيف وزعت، والفصول كيف رتبت، وهيكل الكتاب كيف أصبح كاملاً. ويتساءل الطالب اثناء تدقيقه في الكتاب ويقول: لماذا نظمت الحقائق الواردة في أجزاء من الكتاب بالسجل الذي نظمت فيه؟ كما يصل الطالب للغاية نفسها عندما يخصص وقتاً آخر لسماع محاضر ناجح يرغب سماع محاضرته شريطة أن يركز اهتمامه على طريقته في عرض مادة محاضرته دون محتوياتها، وبعدئذ يلجأ الى التحليل، فيقول: لماذا كانت المحاضرة التي سمعتها من زيد من الناس أكثر وضوحاً، وأجمل تنظيماً من تلك التي سمعتها من عمر مثلاً ؟

ان قيام الطالب بالتمارين الفكرية بما في ذلك ما أردناه في أعلاه ينمي قدرته على التنظيم، وقد يقوده الى حيازة تلك القدرة.

وعندما يحوز الطالب القدرة على التنظيم التي أشرنا إليها في أعلاه يجتهد في معالجة معضلات الاسلوب والإنشاء، وعندئذ يصبح في طريقه الى كتابة بحث ناجح.

ويورد كنت فيما يتعلق بالإنشاء وصحة التعبير النصائح التالية:

أولاً: ينصح الطالب في ان يتجنب الأسلوب المتكلف، والعبارات الطنانة.

ثانياً: لا يجوز استعمال اللغة العامية في الكتابة.

ثالثاً: لا يستحسن استعمال اللغة المجازية في البحث العلمي.

رابعاً: ليس من المستحسن الاكثار من استعمال صيغة المبني للمجهول، وقد تكون صيغة المبني للمجهول ضرورية أحياناً، ولكنها لا تستعمل إلا عند فقد وسائل التعبير الأخرى التي تؤدي الغرض المطلوب(١).

ويقول الدكتور زريق في معرض كلامه عن الاسلوب: (أما المرحلة الأخيرة من العمل التاريخي فهو مرحلة أدبية فنية يلجها المؤرخ عندما يعمد الى عرض ما توصل إليه ونشره بين الناس، وهنا تتجلى ملكة المؤرخ في حسن الإداء، وروعة التعبير، ونقل الاختبار النفسي بأبلغ الوسائل وأجملها وأشدها تأثيراً، ولئن كان التاريخ علما من حيث تحقيقه، وفلسفة من حيث ما يحاول من تفهم كلي، وربط للأحداث وتعليل للأسباب والنتائج، فهو أدب وفن من حيث العرض والأداء والبيان، ولا يعني هذا طبعاً أن يعتبر التاريخ أدباً فحسب، أو ان تتغلب فيه العناية بالتعبير على الدقة في التحقيق كما حصل عند فريق كبير من المؤرخين من مختلف الاجناس والثقافات، فأن صفة التاريخ الأدبية يجب إلا تتجاوز صفته العلمية، والا تسلبها مقامها الأول ومرتبتها الأساسية، والمؤرخ المتميز هو الذي يعرف كيف يكسو العلم الدقيق بالأسلوب الرفيع)(٢).

وهناك أمور عدا قضايا الأسلوب تساعد مراعاتها على تسهيل عملية الكتابة، وتعد في الوقت نفسه من مقدمات تلك العملية، ومن اهم تلك الأمور:

---

(1) Kent , Op. Cit , PP. 55 – 6.

(٢) زريق، المصدر السابق ص٧٥.

أ - المقدمة: سبق أن أشرنا في موقع آخر من هذا الكتاب الى محتويات المقدمة، ونضيف هنا ان المقدمة تنقل للقارئ بصورة تدريجية وبسهولة الى جو الموضوع الذي تضمنه صلب الكتاب، ويكون القارئ عادة في حالة فكرية كثيراً ما تختلف عن حالة المؤلف، فالكاتب درس موضوع بحثه مسبقاً لذا تكون معرفته بأطرافه أكثر من معرفة أكثر القراء لذلك الموضوع، فهو والحالة هذه يعرف أساس موضوعه، ويعرف شخصياته كما يعرف ، فضلاً عن ذلك المادة المكتوبة عنه، ويجب إلا يغرب عن بال الكاتب ان معرفته بموضوعه سبق لها ان اتسعت واصبح نسبياً خبيراً في الحقل الصغير الذي يضم موضوع بحثه . ان عدم أدراك الطالب لحالة قارئ بحثه التي تختلف عن حالته هو من حيث الإلمام بالموضوع تجعله يشرع بمعالجة موضوع بحثه مباشرة دون التمهيد لذلك البحث بالمقدمات. إن هذا الظن يقود الطالب إلى الاتصاف بالغموض، ويصبح قارئ كتاب طالب كهذا، ويصبح قارئ كتاب كهذا ضائعاً منذ البداية، فلا يعرف من أين يبتدأ البحث الذي يقرأه؟ كما لا يعرف قيمة ذلك البحث ومكانه في اطار المعرفة البشرية بصورة عامة، وتصبح محتويات البحث حينئذ معروفة لفئة قليلة من القراء، وليس من حق الكاتب ان يكلف القراء بأن ينفقوا جهوداً تفوق طاقتهم لكي يفهموا محتويات الكتاب الذي وضع بين أيديهم كما ليس من حق ذلك الكاتب أن يصف قارئ كتابه بالحمق، فالقارئ إن اقتيد ببراعة بمقدمة متسقة وأحيط علماً بالطبيعة العامة للموضوع، واغرى بجميل اللفظ، وحسن المعنى كما احيط علماً بالأشياء التي يعرفها، ولكنه نسيها نقول: ان زود بما سبق سينساق طائعاً الى فهم الأشياء الأكثر تعقيداً بسهولة ويسر، ولا شك انه سيصف البحث بالوضوح إذا اقتاده الكاتب بالمسار الذي رسمناه قبل قليل، وينصح الكاتب الذي ينشد الوضوح في كتابته بأن يقدم موضوعه بطريقة مبسطة وشاملة، وبشكل يجعل القارئ قادراً على إدراك اهمية ذلك الموضوع، وهو إن حقق للقارئ ما سبق يجعله ينساق طائعاً لتتبع ما

قدم له من حجج، وفك ما أحاط بتلك الحجج من تعقيدات.

ويجب ان لا يغرب التكهن بالكاتب حين يكتب المقدمة بحيث يجعلها تتقدم زماناً وتحيط مكاناً يبتعد عن الموضوع الذي يراد بحثه. كما لا يصح للكاتب نفسه أن يضمن المقدمة معلومات يكون مكانها الطبيعي في صلب الكتاب.

ب - التناسق والاتساق: يعد التناسق بين المعلومات، والاتساق في سردها من أهم مقومات الكتابة الناجحة، وأفضل تحذير يقدم الكاتب هو ايصاؤه بأن يجعل رسالته، او مقالته المكونة من كلمات، وتعابير وجمل وفقر وأقسام وفصول محبوكة في وحدة قوامها المادة المعروضة بشكل تكون الاجزاء الصغيرة منها تقود الى الأكبر منها وتنساب فيها، كما ينصح الطالب بان يستعمل وصلات الانتقال، ويراعي الأدب الجم في التعبير منذ بداية رسالته حتى نهايتها.

ج - مراعاة النهايات الجيدة للفصول: تنتهي الفصول عادة بفقرة تنال خلاصة لمحتويات تلك الفصول كما تشير في الوقت نفسه الى ما سيحويه في الفصل التالي للفصل المنتهي، وإذا كانت المادة المعروضة في الفصل صعبة ومثقلة بذكر الأسباب والنتائج، ينتظر القارئ من الكاتب ان يزوده بملخص واضح ومبسط لمحتويات الفصل، أما إذا كانت المادة المعروضة قليلة التعقيد، فلا ضرورة لإجهاد فكر القارئ بما يعتبره مجرد تكرار لما احتواه صلب الفصل.

د - مراعاة نظام الفقر وجمل العنوان: ان الفقرات عبارة عن فصول صغيرة قائمة بذاتها لذا تخضع في تركيبها للقواعد التي تخضع لها الفصول، وتبدأ الفقرة عادة بما تسميه كتب البلاغة بجملة العنوان، وتكون جملة العنوان بمثابة المقدمة للكتاب، أو بمثابة الفقرة الأولى للفصل، وتسهل تلك الجملة عملية الانتقال، وتجعله طبيعياً من فقرة

الى فقرة، ولا يشترط دائماً ان تكون جملة العنوان واحدة، بل قد تكون أحياناً جملتين، أو ثلاث جمل، ولا ينصح الكاتب ان يبدأ كل فقرة بجملة عنوان، ولا سيما إذا رأى ان ذلك يجعل عرضه للمادة مصطنعاً، وترتب الجمل داخل الفقرة بترتيب منطقي، والواقع ان نتابع الجمل، او تسلسلها يتحقق لا بكونها مرتبة ترتيباً منطقياً حسب، بل المهم ان تجعل القارئ يحس بذلك التسلسل، وعلى الطالب ان يعلم ان حفظ السياق في الكلام وتساوق عباراته يعدان من أصعب مراحل صناعة الكتابة، كما عليه ان يعرف ان استعمال عبارات الربط وفواتح الجمل من الأمور الجديرة بالعناية.

وقد يجد الطالب أن طبيعة بعض المواضيع تجعل عرضها بشكل فقرات أمراً بالغ الصعوبة لذا ينصح في هذه الحالة ان يكتب مادته على ورقة مسودة، وان يجعل الجمل التي يستعملها واضحة، ويضمن كل جملة بسيطة فكرة واحدة، وعندما تصبح الفكرة موزعة على عدد الجمل يصار الى ترتيبها ووضعها في أماكنها المناسبة لها، وبنظرة عابرة يستطيع الكاتب ان يعرف اي الفكر يجب ان تسبق غيرها، وأيها تستحق المكان الثاني، أو الثالث، ويصار بعد ذلك الى ربط الجمل البسيطة بجمل أكثر تعقيداً.

ويقترح كنت الذي لخصنا معظم مادة هذا الفصل من كتابه[1]، على الطالب ما يأتي:

أولاً: تعمد طائفة من الطلبة الى حشر كثير من النصوص في ملاقاتهم ظناً منهم أن ذلك يزيد من قيمتها العلمية، وينصح الطالب بترك الطريقة المذكورة لأسباب منها:

أ - إن حشر النصوص فوق الحد الضروري لوجدوها يحمل في طياتها نوعاً من الاحتيال لا مبرر لها.

ب - أن النص إذا لم يقتبس بحذق، وأن الفقرة المقتبسة إذا لم تحك حياكة جيدة وجميلة

(١) Writing History .1 .

تجعلها تنسجم وسياق الروايات تكون مدعاة لهدم الحجج التي يدلي بها الطالب لتوثيق بحثه.

ج - ان النصوص التي تستحق الاقتباس والتضمين قليلة لذا لا يصح الافراط في الاقتباس. ومن الجدير بالذكر إن الكتب المدرسية والمراجع لا تقتبس إلا إذا كانت الكلمات المقتبسة تستدعي تحليلاً دقيقاً، وليعلم الطالب ان محتويات تلك الكتب موجودة في مئة، أو أكثر من امثالها، فلا فائدة من اقتباسها، وأن عبارات العلماء من المؤرخين أمثال ميت لاند (Maitland)، ورانكة مثلاً لا تقتبس لمجرد ان هؤلاء قالوها، بل يجب ان تقتبس فقط عندما تستدعي الضرورة اقتباسها، ولا ينصح الطالب في ان يقتبس نصا كتب بغير اللغة التي يكتب بها بحثه لأنه لا معنى للافتراض بأن القارئ يعرف تلك اللغة، ثم ان التحول من اسلوب لغة الى اسلوب لغة اخرى تجعل القارئ يميل الى اهمال النص الأجنبي دون ان يقرأه، وقد تفوت عليه فائدة تضمنها ذلك النص.

ثانياً: لا يصح تضمين الرسالة أية مادة لا علاقة لها بموضوعها.

الفصل السادس
الأسلوب ومراعاة قواعد البحث
شكلاً ومضموناً

تمهيد:

ان مراعاة مستلزمات فن الكتابة سواء ما كان منها ذا علاقة بالأسلوب او بالشكل او بتوفر سلامة قواعد اللغة والإملاء، او بعلامات الترقيم، وما الى ذلك أمر يوليه الباحثون كبير اهتمامهم، ويعدونه من مقومات النجاح للبحث، أو المقالة، وينتظر من الكاتب الناجح ان يولي تلك المستلزمات عناية خاصة، فيلتزم أثناء كتابة رسالته بتطبيق ما تعارف عليه جمهور(١) أهل الصناعة التاريخية من قواعد، ويراعي ما قدموه من توصيات فيما يتعلق بالشكل الخارجي للبحث، او في استعمال علامات الترقيم (Punctuation)، او في قواعد الاقتباس، او في غير ذلك من امور وثيقة الصلة بما رسمه المعنيون بأصول

---

(١) هناك اختلافات بين الكتاب العرب المحدثين حول الكيفية التي ترتب بموجبها الهوامش التي توضع في ذيل الورقة بجنب ارقام الإحالة، فيرى بعضهم ضرورة الالتزام بذكر الاسم الأول للمؤلف قبل لقبه، كما يرى بعضهم ان نذكر عنوان الكتاب قبل إسم المؤلف وما الى ذلك من تحويرات في قواعد الاقتباس والهوامش التي نقلنا معظمها من الكتاب الغربيين، وأعتقد ان عالمية تلك القواعد وقدرة الغالبية من الكتاب العرب المحدثين على استعمالها بصورة صحيحة في بحوثهم يدعواننا الى الالتزام بتلك القواعد والعمل على سد الثغرات الموجودة فيها.

البحث التاريخي.

وسنعرض فيما يلي من الصحائف الى اهم ما تعارف عليه جمهور الباحثين في هذا الباب:

أولاً: المظهر الخارجي للبحث او المقالة: يشترط ان تبدأ المقالة أو البحث بما يسمى بصحيفة العنوان، وتتضمن تلك الصحيفة فضلاً عن التاريخ اسم الكاتب كاملاً، والعنوان الكامل للمقال او الرسالة مكتوبين بحروف كبيرة، ويجب ان تكتب او تطبع المقالة العلمية او الرسالة على وجه واحد من الورقة.

وتكون السطور متباعدة عن بعضها بمسافة يقدرها الطباعون بضعف الفراغ الذي يتركونه بين سطر وآخر في الحالات الاعتيادية، وعلى الطالب ان يراعي القواعد الشكلية الأخرى، ومن بينها ترك حاشية بياض على كل جانب من جوانب الورقة، وترك ذيل بياض ايضاً لاستيعاب الهوامش التي تحدد عددها الأرقام المنبثة في متن الورقة، وإذا ضاق ذلك الذيل عن استيعاب مادة الهوامش الأخير توضع علامة يساوي، او سهم احياناً في نهاية آخر سطر من الهامش، ويكتب ما بقي من مادة الهامش في القسم الاعلى من ذيل الورقة الجديدة بجوار الخط الفاصل بين متنها وهامشها بعد وضع علامة يساوي، او السهم في بداية الكتابة.

ويفصل بين متن الورقة وهامشها خط يكون مكسراً أحياناً إذا كانت الكتابة بلغة اوربية، وتكتب الهوامش عندما تطبع الرسالة بحرف أصغر من الحرف الذي يطبع فيه المتن، أما إذا كانت مخطوطة، او مطبوعة على الآلة الكاتبة، فتكتب الهوامش أحياناً بحبر يختلف لونه عن لون الحبر الذي يكتب به المتن.

وتتبع في تسلسل الحواشي طريقتان:

إحداهما: تقوم على وضع ارقام متسلسلة لكل صحيفة، وهي تبدأ من الرقم(١)، وتوضع في أسفل كل صفحة هوامشها، وسهولة هذه الطريقة واضحة، فكل صفحة مستقلة بأرقامها ومصادرها وكل ما يتصل بها، ومن السهل في هذه الحالة ان تحذف رقماً، أو تضيف آخر دون الحاجة الى إحداث اي تغيير في هوامش الصفحات الاخرى، وتتبع الطريقة المذكورة في حالة عدم وجود رغبة آنية في طبع المخطوط.

أما الطريقة الثانية: فتكون فيها أرقام البحث متسلسلة خلال الجزء او الفصل الواحد من الرسالة، وإذا حصل ان تجاوزت تلك الأرقام المائة يعطي العدد الواقع بعد المائة رقم (١)، والثاني رقم (٢).

وتوضع في اسفل كل صفحة هوامشها ايضاً، ومن عوامل ضعف هذه الطريقة ان إحداث اي تغيير بالحذف، او بالإضافة في اي رقم يستلزم تغيير ما بعده.

وقد عولجت المشكلة المذكورة كما يأتي: فعندما تدعو الضرورة لإجراء تغيير في الأرقام المسلسلة كأن يضاف خبر جديد او تحذف مادة زائدة وما الى ذلك من تغييرات يصار الى إضافة حرف من الحروف الأبجدية الى جانب الرقم المتسلسل حتى يستوي التسلسل فنقول مثلاً،(١٤ أ، ١٤ ب، ١٤ ج، ١٥، ١٦) وهكذا، وإذا اراد الطالب طبع ورقته فالحواشي يمكن ان تظهر في اسفل الورقة كما بينا آنفاً، أو تظهر في أوراق منفصلة تطبع وتضاف الى اوراق متن البحث بعد نهايته، ويفضل الطباعون طريقة الأرقام المتسلسلة للحواشي او طبع تلك الحواشي على اوراق منفصلة تضم للبحث فيما بعد. إن طبع الحواشي على أوراق منفصلة لا يخلو من نواقص لأنه يضطر القارئ لتقليب أوراق البحث للعثور على الهوامش في أمكنتها.

اما فيما يتعلق بتقسيم البحث الى اجزاء او فصول فيؤخذ حجم ذلك البحث بنظر الاعتبار، فإذا كانت المقالة صغيرة الحجم، اي بحدود العشرة صحائف، لا داعي لتقسيم مادتها الى فصول، ويمكن حينئذ تقسيمها الى اقسام تفصل بعضها عن بعض بخط واحد أو خطين، وإذا كانت الأقسام واضحة المعالم ومحددة تستعمل الأرقام لتمييزها بعضها عن بعض، ويستعمل الكتاب الغربيون الأرقام اللاتينية ١، ٢، ٣، (I , II , III) للغرض المذكور ولترقيم الفصول في الوقت نفسه.

وتستعمل كلمة فصل عادة عندما يكون حجم القسم الواحد من البحث يتراوح بين العشرين الى الثلاثين صفحة، وان حجم مجموع البحث تتراوح صفحاته بين الثمانين والمائة صفحة او اكثر ويبدأ كل فصل بصفحة جديدة ويكون له عنوان ويحمل رقم تسلسل.

وتعامل الملاحق وثبت المصادر فيما يتعلق بالابتداء بصفحة جديدة معاملة الفصول كما يترك فراغ مضاعف بين سطورها في حالة طبعها على الآلة الكاتبة.

وليس من حق الطالب ان يعتمد على الطباع، وأن كان ذلك الطباع محترفاً بل عليه ان يقرأ مخطوط بحثه ويصححه بالحبر وبخط واضح.

ثانياً: الهوامش:

تكون الهوامش على نوعين: أحدهما: وهو ما يعرف بالهامش الحقيقي (Proper) يتضمن مادة توضح او تكمل ما جاء في المتن، اما الثاني: فهو ما يشير الى المصدر الذي استقى منه الطالب مادته سواء كان ذلك المصدر مطبوعاً ام مخطوطاً أم محاضرة ام مشافهة، ويمكن ان يضاف للنوعين السابقين نوع ثانوي ثالث من الهوامش، ويستعمل

هذا النوع لإحالة القارئ الى مكان آخر من الرسالة وضحت به نقطة ما، أو أوردت به تفاصيل عنها، وذلك لتحاشي إعادتها في مكان آخر إذا ورد ذكرها مرة ثانية.

أ– هامش الإيضاحات:

يتضمن الهامش الأصلي مادة لها صلة بمتن الكتاب، ولكن تلك المادة رغم كونها ممتعة ونافعة لا تصلح لأن تكون جزء من صلب الكتاب، ويجب ان يكون الهامش مقتضباً ومقتصراً على ما تدعو الضرورة لذكره من المادة، ولا يصح ان يحتوي ذلك الهامش من المادة ما يصلح لأن يكون ملحقاً للكتاب، ويرى شلبي ألاّ يكون الدليل على ما يتضمن الهامش الآنف الذكر من إيضاحات رقماً اعتيادياً كالذي يوضع عند الإشارة للمصدر، بل تميز أمثال هذه الإيضاحات بعلامة خاصة كالنجمة مثلاً(*)، فإذا ورد إيضاح ثان على الصفحة نفسها كانت الإشارة له نجمتين وهكذا، وكذلك تستعمل النجوم بدل الأرقام إذا كان مكانها فوق عنوان من العناوين[1]، ولا نرى ضرورة للالتزام بما أورده شلبي عن ارقام هوامش الإيضاحات واستبدالها بنجوم لا سيما ان ذلك قد يؤدي الى متاعب عند الطبع، ويشغل مكاناً أكبر عند تعدد النجوم، ويستعمل الهامش الأصلي للأغراض التالية:

أ – إيراد المقادير الحديثة المساوية لأوزان، أو مقاييس قديمة كأن تقول الفرسخ يساوي ثلاثة أميال، والذراع حوالي ٦٠ سنتمتراً وهكذا.

ب – توضيح معاني الكلمات الواردة في المتن والمستعارة من لغة أخرى لأغراض يستلزمها البحث.

ج – هناك اغراض مختلفة اخرى تستعمل لها الحواشي، ويترك تقديرها للباحث، ومع

(١) كيف تكتب بحثاً أو رسالة: ص٩٢.

ذلك يجب الا تستعمل الحواشي لغرض الحذلقة والتظاهر بالمعرفة.

ب – هامش الاقتباس من المصادر والمراجع:

ان كثيراً من الروايات والتقريرات التي استعملها الكاتب في متن الكتاب تحتاج الى توثيق، وللقارئ الحق في ان يطرح السؤال التالي: من اين جاء الكاتب بالمادة التي عرضها بمقالته او رسالته ؟ والكاتب في هذه الحالة ملزم بالإجابة، ومع ذلك فان القارئ لا يجعل جميع ما عرض عليه موضع تساؤل، ويتوقع القارئ عادة وجود هوامش للأجزاء التالية من المعرفة:

أ – الكلام المباشر: عدا ما كان منه شائعاً ومألوفاً.

ب – الاقتباس من الوثائق: اي الروايات المستقاة من المصادر، وسنورد تفصيلات بشأن هذا النوع من الاقتباس في موضع آخر من هذا البحث.

ج – الاحصاءات: وتشمل الأرقام التجارية وأعداد السكان والأرقام التي تبين مقادير الديون وما أشبه ذلك.

د – البيانات: التي ترفض اسطورة من الأساطير، أو تدحض تعمياً شائعاً بين الناس، أو كلاماً غير محتمل التصديق.

هـ – بيانات معينة: ترد في الجرائد خاصة تلك التي تعبر عن وجهة نظر معينة.

وعلى الكاتب أن يشير الى المصدر الذي أخذ عنه كل ما سبق، وذلك بتثبيت هامش يشير إليه.

وينصح الكاتب بأن لا يقتبس من المراجع ما لم ينو إثاره نقاش حول الكلام

المقتبس، كما ينصح بأن لا يقتبس المادة المعروفة معرفة جيدة وشائعة مثل: تاريخ معركة واترلو، أو تاريخ تصريح الاستقلال الأمريكي، أو تاريخ قيام الثورة العراقية الكبرى ضد الانكليز وما أشبه.

وعندما نقتبس مضمون مادة، أو ملخصها من معاهدة، او اتفاقية مشهورة لا ضرورة لذكر المصدر الذي اقتبسنا منه ذلك المضمون، أما إذا اقتبسنا كلمات بنصها لغرض مناقشتها يصبح حينئذ ذكر المصدر المقتبس منه ضرورياً وينطبق ما سبق على الدساتير والأنظمة وغيرها من الوثائق الخاصة بالدول.

وإذا كان الغرض من الاقتباس توضيح كلمة، او عبارة يجب ان يوضع الرقم الدال على الاقتباس على تلك الكلمة، أو العبارة وما عدا ذلك يرد ذلك الرقم في نهاية الجملة، او المقطع الذي اقتبس في البحث.

ويوضع كل خبر، أو جزء من خبر بين أربعة أقواس من هذا النوع (( )) توضع مرتفعة قليلاً عن خط السطر، ويشار الى المصدر الذي اقتبس منه ما بين الاقواس بوضع أرقام صغيرة متسلسلة على الزوايا العليا من نهاية الاقواس: ((...)) (١)، ((...)) (٢)، ((...))(٣) وتكتب في ذيل الصفحة كما أشرنا آنفاً أسماء المصادر التي تدل عليها ارقام الإحالة آنفة الذكر، وفي حالة الاستغناء عن جزء من النص لعدم استعمال محتواه في البحث لا ينقل ذلك الجزء من المصدر، وتوضع ثلاث نقاط محل الجزء المحذوف، وتسمى النقط الأفقية الآنفة الذكر علامة الحذف، ويكون الهامش الأول على هذه الصورة: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ج٥(القاهرة: ١٩٣٨م) ص١٠، أما في الهوامش التالية فتكون مختصرة، وتستعمل فيها الرموز على هذه الصورة: الطبري: المصدر السابق، ٥: ٢٠ (أو ٥ / ٢٠) أي الصفحة ٢٠ من الجزء الخامس، وفي استعمال الرموز اقتصاد بالمكان والوقت، ويرى بعض المؤلفين ان نستعمل الرمز

منذ البداية، ولكننا نرجح ما رسمناه آنفاً لأن تكليف القارئ بالرجوع الى ثبت المصادر للحصول على المعلومات المطلوبة عن المؤلف والكتاب يسبب له متاعب لا ضرورة لها.

وإذا كان للمؤلف الواحد أكثر من كتاب يتصل ببحث الطالب يضع بعد إسم المؤلف - اي ما تبناه من شهرته للدلالة عليه خطاً قصيراً تأتي بعده كلمة ذات دلالة من عنوان الكتاب الثاني، او الثالث، فإذا قال الطالب المسعودي – التنبيه، ٥٠. المسعودي. مروج، ٣٠. قال ذلك يعني ان الطالب أخذ الخبر الأول من الصفحة الـ٥٠ من كتاب التنبيه والإشراف للمسعودي، وأنه أخذ الخبر الثاني من الصفحة الـ٣٠ من كتاب مروج الذهب للمسعودي أيضاً.

وإذا كان الخبر المقتبس قد ورد في أكثر من مصدر، فينصح الطالب بأن يرتب هذه المصادر حسب تسلسلها الزمني مبتدأ بالأقدم، فتقول الطبري: المصدر السابق، ٥: ٢٠، ابن الأثير، المصدر السابق، ٧: ٣٠ ابن كثير، المصدر السابق، ٨: ٥٠، وقد فصلنا بين مصدر ومصدر بفاصلة (،) وقد تفضل الفاصلة المنقوطة (؛) ويكون هذا التفضيل للفصل بين اسماء المؤلفين واجباً إذا ورد الخبر في أكثر من كتاب لمؤلف واحد بين المصادر الأخرى. إبن سلام / ٣٠، الأصبهاني، ٥ – ٤٥، مقاتل، ٣٠ ؛ إبن خلكان ٦: ٧٠، وعندما يتعدد المؤلفون لكتاب واحد نثبت اسم الأول منهم كما يظهر على صفحة العنوان ونلحقه بعبارة (وآخرون) فإذا اقتبس الطالب خبراً من تاريخ العرب المطول الذي ألفه فليب حتي وعدد من زملائه يقول في الهامش حتي، فليب، وآخرون، تاريخ العرب، المطول ج٤ (بيروت: ١٩٦٠م) ص٥.

ويرى كنت: ان المصادر التي تقتبس منها مادة لتوثيق البحث التاريخي تكون على نوعين: أولها: المصادر المنشورة، وثانيها: المصادر غير المنشورة، ويثبت كل نوع من النوعين الآنفي الذكر في هامش البحث على صورة خاصة به، ونلخص ما أورده كنت

عن كل نوع على حدة:

أ – المصادر غير المنشورة: قد تكون المصادر غير المنشورة فريدة – لا نظير لها – لذا وجب تحديد أمكنتها عندما نقتبس أخباراً منها، كما يجب ذكر التواريخ التي تحملها تلك الوثائق، والتي تكون مميزات لها من غيرها من الوثائق، وقد تكون تلك المصادر على شكل مخطوط، أو مخطوطات، او على شكل أوراق (Papers)، او على شكل مذكرات يومية (Diary)، أو على شكل مجموعة (Collection)، او على شكل مراسلات (Corrispondence)، ويجب ان يوصف كل صنف من الأصناف الآنفة الذكر بالصفة التي حددتها له المؤسسة التي تمتلكه، فمثلاً لو كانت المخطوطة محفوظة بجامعة أكسفورد بإنكلترا نشير إليها عند اقتباس مادة على الصورة التالية:

اسم المؤلف وسنة وفاته أن وجدت، عنوان المخطوط، رقم المخطوط (March 143) مكان وجوده (مكتبة بودليان، أكسفورد)، وان كان المتحف العراقي يملك المخطوطة نورد جميع المعلومات السابقة عن المخطوط ما عدا المكان الذي يكون في هذه الحالة مكتبة المتحف العراقي ببغداد، ويكون الهامش في حالة الاقتباس من المخطوط على الصورة التالية:

الكاشاني، عبد الرزاق (ت: ٧٣٥ / ١٣٣٤) تأويلات القرآن، Or: ٤٢٢ بمكتبة جامعة كمبرج بانكلترا ورقة ٣٠ أ، أما إذا كان المخطوط على شكل أوراق (Paper) فتكون الإشارة إليها لأول مرة بالهامش على الصورة التالية:

جورج. ب. مكلين الى صمويل مكلين، في السابع والعشرين من أيلول، ١٩٦٤م، مكتبة الكونغريس، أوراق جورج. ب. مكلين.

فإن تكرر الاقتباس من تلك المجموعة نورد إسمها مختصراً على هذه الصورة:

(ج.ب. مكلين الى اس. مكلين. في الثلاثين من ايلول، ١٨٦٤م، أوراق مكلين).

أما إذا كان المخطوط على شكل يوميات أو سجلات محاضر للهيئات التشريعية وغيرها، أو كتب الرسائل يكون هامش الإحالة في المرة الأولى على هذه الصورة: في ٢٠ شباط، ١٩١٦م، يوميات إدورد، ام. هوس. مخطوط في مجموعة الدار / مكتبة جامعة بيل، وإذا تكرر الاقتباس من المجموعة نفسها نورد هامش الإحالة بصورة مختصرة فنقول: سجل يوميات الدار.

ب – **المصادر المنشورة**: سبق أن أشرنا الى طريقة الاقتباس وتثبيت هوامش الإحالة، عندما تكون اللغة العربية لغة الكتابة، ونضيف الى ما سبق ذكره ما يأتي:

أ – إذا اقتبس مصدر يذكر اسم مؤلفه، وعنوان الكتاب، والجزء إن وجد، ومكان الطبع وزمانه بين قوسين بجنب رقم الإحالة في الهامش عند ورود ذلك المصدر لأول مرة كما مثل في السابق، وفي المرة التي تلي المرة الأولى يذكر الطالب بعد إسم المؤلف – ما تبناه من شهرته للدلالة عليه – كأن يذكر الطبري مجرداً من بقية إسمه، أو الأصفهاني مجرداً من بقية إسمه عبارة (المصدر نفسه)، أو عبارة (المصدر السابق)، أو اسم الكتاب مختصراً إذا استعمل عدة كتب لمؤلف واحد كان يقول: الطوسي، الامالي الطوسي، البيان الطوسي، الخلاف، عندما يستعمل جميع الكتب لمؤلف واحد وهو الطوسي هذا إذ وجد فاصل، أما إذا لم يوجد فاصل يورد الطالب كلمة (أيضاً) بجنب رقم الإحالة، ويلي ما سبق ذكره الجزء إن وجد، والصفحة على ان يكون ذلك بصورة مختصرة أي باستعمال الرموز، ٥، ٢٠ (او ٥ / ٢٠) أي الصفحة الـ٢٠ من الجزء الخامس وفي استعمال الرموز اقتصاد بالمكان والوقت.

ويرى بعض المؤلفين ان نستعمل الرمز منذ البداية ولكننا نرجح ما رسمناه آنفا لان

تكليف القارئ بالرجوع الى ثبت المصادر للحصول على المعلومات المطلوبة عن المؤلف والكتاب يسبب له متاعب لا ضرورة لها.

واذا كان للمؤلف الواحد أكثر من كتاب يتصل ببحث الطالب يضع بعد أسم المؤلف (أي ما تبناه من شهرته للدلالة عليه) خطاً قصيراً تأتي بعده كلمة ذات دلالة من عنوان الكتاب الثاني أو الثالث..

فإذا قال الطالب المسعودي – التنبيه، ٥٠. المسعودي، مروج ٣٠. فإن ذلك يعني أن الطالب أخذ الخبر الاول من الصفحة الـ ٥٠ من كتاب التنبيه والاشراف للمسعودي وأنه أخذ الخبر الثاني من الصفحة الـ ٣٠ من كتاب مروج الذهب للمسعودي أيضا.

واذا كان الخبر المقتبس قد ورد في اكثر من مصدر فينصح الطالب بأن يرتب هذه المصادر حسب تسلسلها الزمني مبتدئ بالأقدم.

فنقول: الطبري، المصدر السابق، ٥: ٢٠، إبن الأثير، المصدر السابق، ٧: ٣٠، إبن كثير، المصدر السابق، ٨: ٥٠. وقد فصلنا بين مصدر ومصدر بفاصلة (،) وقد تفضل الفاصلة المنقوطة (؛) ويكون هذا التفضيل للفصل بين أسماء المؤلفين واجبا إذا ورد الخبر في أكثر من كتاب لمؤلف واحد بين المصادر الأخرى.

إبن سلام ٣٠، الاصبهاني ٥–٤٥، مقاتل ٣٠ ؛ ابن خلكان ٦: ٧٠.

وعندما يتعدد المؤلفون لكتاب واحد، نثبت اسم الاول منهم كما يظهر على صفحة العنوان ونلحقه بعبارة (وآخرون). فإذا أقتبس الطالب خبرا من كتاب تاريخ العرب المطول الذي الفه فليب حتي وعدد من زملائه يقول في الهامش حتي، فليب، وآخرون، تاريخ العرب المطول ج٤ (بيروت، ١٩٦٠) ص ٥. اي الصفحة ال ٢٠ من الجزء الخامس.

وإذا كانت لغة الكتاب المقتبس إحدى اللغات الغربية كالإنكليزية مثلاً، فنورد المعلومات المتعلقة باسم المؤلف وعنوان الكاتب، ومكان طبعه وزمانه، وذكر الجزء إن وجد، والصفحة كاملة في المرة الأولى كما هي الحال في الكتب العربية، وفي المرة التي تلي المرة الأولى نستعمل الرمز (Op. Cit) (Opera Citato) بعد اسم المؤلف - ما تبناه الطالب من شهرته للدلالة عليه - أي براون (Browne) بدلاً من ادورد جورج براون، هذا ان وجد فاصل والرمز(Ibed) (Ibidem) دون ذكر المؤلف إذا لم يوجد فاصل، وترد ارقام الصحائف والجزء إن وجد بعد الرمز الأول، أما الرمز الثاني فيرد بعده بعد رقم الصفحة فقط.

ب - إذا اقتبست من الكتب المقدسة يكون الهامش الذي يكتب بجنب رقم الإحالة كما يلي:

إذا اقتبست من القرآن الكريم آية تذكر اسم السورة ثم رقم الآية على هذه الصورة: الأنعام: ١٧ . وإذا اقتبست من الإناجيل تذكر إسم الإنجيل، ثم رقم الإصحاح، ثم الآية على هذه السورة: إنجيل لوقا ٢ : ٤٨، أي الآية ٤٨ من الإصحاح الثاني.

ج - إذا نقلت مادة ليست من صلب الكتاب المنقول عنه كأن تكون من مقدمة للكتاب كتبها كاتب غير المؤلف أو من هامش كتبه المؤلف أو ناشر الكتاب وما إلى ذلك يكتب عادة في آخر الهامش الذي ثبت بجنب رقم الإحالة كلمة أو عبارة بين قوسين تدل على الجزء المنقول عنه كأن تقول (هامش)، أو (مقدمة) أي نقلت عن الهامش الوارد في الصفحة التي ورد رقمها في ذلك الهامش أو عن المقدمة، وتذكر اسم الكاتب في حالة النقل عن المقدمة على هذه الصورة: مجمع البيان للطبرسي، مقدمة أحمد رضا١/ ١.

د – إذا كان هامش الإحالة يشير الى حديث شخصي، أو محاضرة عامة يثبت الهامش على الصورة التالية :

١ – فلان، حديث شخصي (أيلول،١٩٧٢م) إذن بالإشارة إليه.

٢ – فلان، محاضرة عامة (٥ تشرين الأول، ١٩٧٢م) إذن بالإشارة إليها.

هـ – إذا كانت لغة الكتاب المقتبس غربية كالإنكليزية مثلاً، يكتب الهامش في ذيل الورقة بجنب رقم الإحالة على الصورة التالية:

. Browne. E.G. A. Literary History of Persia , I , (Cambridge. 1951) P. 1

ويشير الرقم اللاتيني (١) الى الجزء المقتبس منه. وقد يستعاض عنه بالرمز (Vol.) اي مجلد (Volume) على أن يقترن الرمز بالرقم الذي يحمله ذلك المجلد. ويقترح بعض الكتاب الغربيين كتابة عنوان الكتاب كما يظهر على صحيفة العنوان لا كما يظهر على الكعب بحروف مائلة (Italic). وتكاد تتشابه اللغات الغربية بخصوص قواعد الاقتباس ما عدا فوارق طفيفة جداً اشار إليها كنت [1]، وسبق أن أشرنا الى الحذف الذي يحصل، والرموز التي تستعمل عند تكرر الاقتباس من كتاب واحد.

أما إذا كتبت كلمة أنظر (See) بجنب رقم الإحالة، فيكتب إسم المؤلف على الصورة التالية: (E.G. Browne)، وتلحق به المعلومات الخاصة بالكتاب كما مثل أعلاه.

و – عندما نقتبس مادة من الموسوعات يكون هامش الإحالة على هذه الصورة:

.Pederson , J., " Masjid " Encyclopaedia of ISLAM. III , P وقد تستعمل الرموز (Ency. ofls.) بدلاً من الاسم الكامل للموسوعة.

.Ibid , PP. 78 – 80 (1)

أما إذا كان الاقتباس من المجلات فيكون هامش الإحالة على الصورة التالية:

Tritton, A.S., " Muslim Education in the Middle Ages , " Muslim " ..World., 1943. P

وفي كلتا الحالتين السابقتين يكون عنوان البحث في حالة الموسوعة، وعنوان المقال في حالة المجلة محصوراً بين أقواس الاقتباس، أما الرقم (٣) اللاتيني والرقم (٤٣) الاعتيادي فهما رقم مجلد الموسوعة، ورقم عدد المجلة على التوالي، وإذا كانت المجلة شهرية يضاف اسم الشهر واليوم الذي صدر فيه العدد قبل الرقم الذي يمثل سنوات التاريخ سواء كان ذلك التاريخ ميلادياً أو هجرياً وتثبت هوامش الإحالة للموسوعات، والمجلات المكتوبة بالعربية على النمط الذي رسمناه للموسوعات والمجلات المكتوبة بلغة انكليزية.

ز – إذا كان للكتاب ناشر، أو محقق ذو صفة علمية يأتي الكتاب في هوامش الاقتباس على هذه الصورة: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، باعتناء أو تحقيق ادورد ساخو، ج٥، (ليدن، ١٣٢١) ص١٠.

ح – إذا كان الكتاب مترجماً ذكر إسم المترجم بجانبه على هذه الصورة:

فلهاوزن، يوليوس، الخوارج والشيعة – ترجمة عبد الرحمن بدوي (القاهرة، ١٩٥٨م) ص٥.

ويمكن أن يستعاض عن كلمتي تحقيق وترجمة بالرمزين (تح، وتر) على التوالي، والرمزان العربيان ترجمة للرمزين الانكليزيين (ed) و (Capitalization) (.Trans & Editor)

علامات الترقيم:

يعد الكتّاب الغربيون الالتزام باستعمال علامات الترقيم من مقومات الكتابة الصحيحة، ومن أهم علامات الترقيم عندهم النظام المعروف باسم حروف التاج (Capitalization) كما أنهم يعدون الجملة التي لم تنته بنقطة غير كاملة وإن كان معناها مستوفياً، وقد ألفت كتب [1] خاصة لمعالجة قواعد الاسلوب والترقيم.

أما الكتّاب العرب فنجد بينهم من لا يتقيد باستعمال علامات الترقيم، وبالرغم من ذلك فإن الاتجاه السائد بين المحدثين منهم هو تبني تلك القواعد، واعتدادها من مستلزمات الكتابة العلمية، وخير مثال نورده في هذا الباب هو الدكتور قسطنطين زريق في كتابه الموسوم بـ (نحن والتاريخ) الذي أشرنا إليه مراراً أثناء البحث، وقد جمع شلبي [2] معلومات من مصادر مختلفة عن علامات الترقيم اختصرنا منها ما يأتي:

أ – **النقطة**: توضع النقطة في نهاية الجملة التامة المعنى المستوفية كل مكملاتها اللفظية، وكذلك توضع عند انتهاء الكلام وانقضائه.

ب – **الفصلة او الفاصلة (،) (Comma)**، وتوضع في الأحوال الأتية:

أولاً: بعد لفظ المنادى مثل: يا أحمد، إذهب الى المدرسة.

ثانياً: بين الجملتين المرتبطتين في المعنى والاعراب مثل: خير النبت ما زكى ثمره، وحسن منظره.

---

(١) اشار كنت (Op. Cit.ÎP. ٨٠.) الى نموذج من تلك الكتب وهو:
A Manual of style ....used at the university of Chicago Press (10 th ed., Chicago , 1938).

(٢) المصدر السابق: ص١٥٦-١٥٧.

ثالثاً: بين الشرط والجزاء وبين القسم والجواب إذا طالت جملة الشرط أو القسم مثل :

إذا كنت في مصر ولم تك ساكناً

على نيلها الجاري، فما انت في مصر.

ومثل: لئن ضيع المرء فرصة في طلب العلم، فهو أحمق.

رابعاً: بين المفردات المعطوفة إذا تعلق بها ما يفرق بينها فيجعلها شبيهة بالجملة في طولها مثل: ما خاب تاجر صادق، ولا تلميذ عامل بنصائح والديه ومعلمه، ولا صانع مجيد لصناعته.

ج - **الفصلة المنقوطة** (؛) وتوضع في الأحوال التالية:

أولاً: بعد جملة ما بعدها سبب فيها مثل: محمد من خيرة الطلاب في صفه ؛ لأنه حسن الصلة بزملائه،...

ثانياً: بين الجملتين المرتبطتين في المعنى دون الإعراب مثل: إذا رأيتم الخير فخذوا به؛ وإذا رأيتم الشر فاتركوه.

د - **النقطتان** (:) وتوضعان في المناطق التالية:

اولاً: بين القول والمقول (اي الكلام المتكلم به).

ثانياً: بين الشيء، وأقسامه، وأنواعه.

ثالثاً: قبل الأمثلة التي توضح قاعدة.

هـ - **الشرطة** (-) وتوضع في عدة مواضع منها:

أولاً: في أول السطر في حال المحاورة بين اثنين إذا استغنى عن تكرار اسميهما.

مثل قال معاوية لعمر بن العاص –

ما بلغ من عقلك ؟

ـ ما دخلت في شيء قط إلا خرجت منه.

ـ أما أنا فما دخلت في شيء قط وأردت الخروج منه.

ثانياً: بين العدد والمعدود إذا وقعا عنواناً في اول السطر مثل:

(أولاً –... ثانياً –...)

و – **الشرطتان** (–... –) وتوضع الشرطتان ليفصلا جملة او كلمة معترضة فيتصل ما قبلها بما بعدها مثل:

ستتكلم – بإيجاز – عن الفهرسة في فصل قادم من هذا الكتاب، أما الأقواس وأنواعها التي اوردها شلبي في هذا المقام فقد سبق أن أشرنا اليها في مواضعها من هذا الكتاب.

تقييم المصادر:

يعد وجود دراسة تقيمية لأمهات المصادر التي اعتمد عليها الطالب في إعداد بحثه من القضايا المهمة التي يحسن به أن يوليها اهتماماً خاصاً، ويكون موضع تلك الدراسة عادة خاصة في الرسائل المكتوبة باللغة العربية مقدمة الكتاب، وتخصص طائفة من الكتّاب فصلاً خاصاً يأتي بعد المقدمة لمناقشة المصادر الأساس سواء المخطوطة منها او المطبوعة.

وتصنف المصادر حسب اهميتها في البحث من جهة، وحسب زمن مؤلفيها من جهة ثانية، ويبدأ عادة بمناقشة الأقدم زمناً والأكثر أهمية للبحث، وتأتي المخطوطات عادة في الطليعة لأن المادة المستقاة منها جديدة، ولم يسبق للقراء أن اطلعوا عليها، ويستحسن أن تصنف المصادر حسب حقل المعرفة الذي تنتمي إليه، فكتب التاريخ مثلاً تكون صنفاً معيناً، ومثلها كتب الطبقات، ومثلها كتب الأدب، وكذلك كتب الفرق، وغير ذلك من اصناف المعرفة المختلفة.

وتأخذ طائفة من الكتّاب قضية شمول الكتاب وعموميته، وكذلك اختصاصه في جانب معين من المعرفة، او موضع جغرافي معين بنظر الاعتبار عند القيام بعملية تقييم المصادر والمراجع، فكتب التاريخ مثلاً يقسمونها الى: تواريخ عامة أمثال: تاريخ الطبري، وتاريخ المسعودي، وتواريخ محلية أمثال: تاريخ بغداد للخطيب، وتاريخ مكة للأزرقي، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وعندما يجد الكاتب أن مؤرخاً من المؤرخين - وإن كان كتابه يتناول التاريخ العام - يولي اهتماماً خاصاً لموضع جغرافي معين، او يخصص معظم أخباره لجماعة من الناس، أو في الأقل يوليها اهتماماً اكثر من غيره من المؤرخين ينبه على كل ذلك في دراسته التقييمية للمصادر، فأبو مخنف معروف باهتمامه بأخبار العراق واحاطته بالحوادث التي جرت فيه في العهد الأموي. لذا وجب على الطالب أن يشير الى ذلك عندما يستعمل روايات أبي مخنف في دراسة بحثه، واليعقوبي مثلاً، ومثله الطبري، وربما المسعودي يولون أخبار العراق اهتماماً خاصاً في تواريخهم لذا وجب على الطالب ان ينبه الى تلك الحقيقة اثناء تقييمه لتلك الكتب في حالة استعمالها في بحثه.

ويقوم تقييم المصادر بالدرجة الأولى على بيان نقاط القوة والضعف، او التجريح والتعديل لكتاب تلك المصادر، ويعد عدم تحيز الكاتب دليلاً على عدالته، كما يعد تمكنه من الاطلاع على المصادر الأولية لبحثه دليلاً على قوة روايته.

فالجهشباري مثلاً: كان بموضع يساعده على الاطلاع على الوثائق الرسمية الباحثة في العصر العباسي الذي عاش فيه، ومثله في ذلك مسكويه لذا كانت روايتهما عن الفترة التي عاصراها واطلعا على جميع او بعض المواد الأولية الخاصة بها ذات اهمية خاصة عند البحث عن نقاط القوة لدى مؤرخ معين.

ويأتي تحيز المؤرخ كلياً او جزئياً في رأس العوامل التي تثير الشك في روايته، وتعزف طائفة من المؤرخين نظراً لميولهم السياسية او الدينية او الاقليمية او القبلية عن ذكر بعض الروايات التي تدين من يتحيزون لهم، وتلجأ تلك الطائفة في الوقت نفسه الى وضع روايات لمدح من يتحيزون لهم، وذم من يتحيزون عليهم.

فسيف بن عمر البرجمي (ت١٧٠ هـ) الذي تسربت كثير من رواياته الى تاريخ الطبري يصفه بروكلمان بأنه: (يحرف الأحاديث والأحداث، يعظم بعضاً، ويحقر بعضاً، ولكنه يحسن الوصف والبيان، فاغتر الطبري بذلك، واختار كتبه مصدراً أصيلاً في تاريخه لما روى من الوقائع في اوائل الإسلام، وتبع الطبري المتأخرون، وفلهاوزن هو الآخر لم يعد سيفاً من بين المؤرخين الثقاة [١].

وينصح الطالب عند قيامه بعملية تقييم مصادر بحثه: بأن يشير الى ما يعثر عليه من تناقض في روايات متن الكتاب الذي أعتمده، كما يحذر من تبني تلك الروايات إن وجد فيها مبالغة أو قلة تدقيق الى ما هنالك من قضايا يترك تقديرها للباحث نفسه، لأن حصرها في هذه العجالة أمر بالغ الصعوبة.

---

(١) - تاريخ الأدب العربي (القاهرة، ١٩٦٢م) ج٣: ص٣٧.

الفهارس:

يشترط في الدراسة العملية أن يلحق بها عدد من الفهارس الملائمة لمادة البحث، وتدل الفهارس بدورها على المقدرة التنظيمية لدى الباحث، والتزامه بإيفاء كل جزء من أجزاء المنهج، كما أنها تسهل على المراجع الوصول الى مراده بجهد قليل ووقت قصير، ويهتم الغربيون اهتماماً بالغاً في الفهارس، ويرى الدكتور علي الطاهر بأنه: (لا يوجد بحث علمي من غير الفهارس)[١].

ونورد هنا طائفة من هذه الفهارس:

١ – فهرس الآيات القرآنية.
٢ – فهرس الفرق والجماعات.
٣ – فهرس الأعلام.
٤ – فهرس الأماكن.
٥ – فهرس القبائل.
٦ – فهرس الأحاديث.
٧ – فهرس الصور (و الخرائط).
٨ – فهرس المصادر والمراجع.
٩ – فهرس المحتويات او الموضوعات.

(Table of Contents) ويوضع فهرس المحتويات عادة في نهاية الكتاب، ويرجع بعض الباحثين وضع الفهرس في أول الكتاب بعد المقدمة، ومنهم من يجعله تفصيلياً، والطريقة الأولى أكثر شيوعاً لذا نرجح اتباعها.

---

(١) منهج البحث العلمي: ص١٢٩.

وليس من الضروري أن يحتوي كل كتاب جميع الفهارس الآنفة الذكر كما أن انواعاً أخرى من الكتب تحتاج الى أنواع أُخرى من الفهارس غير ما ذكر في القائمة الواردة في أعلاه.

وقد يرى المؤلف أن يجمع أكثر من نوع من الفهارس في فهرس واحد إذا كانت المادة المتيسرة لكل نوع قليلة، فيجمع حينئذ القبائل والأعلام في فهرس واحد، والفرق والجماعات في فهرس واحد، والأمكنة والبقاع في فهرس واحد، فتجمع الإسماعيلية وآل حمدان مثلاً في فهرس الفرق والجماعات.

ويرجع بعض الباحثين إضافة شروح مقتضبة توضع بين قوسين بجنب الاسم الذي يرد في الفهرس فتقول: البقاع (سهل) بيرانيس (جبال) بريم (جزيرة) الحويطات (قبيلة) الري (مدينة مندرسة قرب طهران عاصمة إيران) دار العلم (أكاديمية أسست ببغداد في العهد البويهي) الحسين بن علي (الإمام ابو عبد الله سيد الشهداء ﷺ)

وتعمل الفهارس بعد الانتهاء من طبع آخر صفحة من الكتاب، وسبب تأخيرها أن المؤلف ملزم بأن يضع إزاء كل كلمة ترد في الفهارس رقم الصفحة او الصفحات التي وردت فيها تلك الكلمة.

وينصح الطالب بأن يراعي ما يأتي اثناء قيامه بإعداد الفهارس:

أولاً: توالى مواد الفهرس على تسلسل الحروف الهجائية، وإذا اشتركت أكثر من مادة في الحرف الأول أخذنا الحرف الثاني، أو الثالث... الخ أساساً للتقديم.

وتراعى القواعد التالية عند القيام بالترتيب الهجائي:

أ – لا تدخل (الـ) التعريف في الترتيب الهجائي إذا وقعت في أول الاسم فتبقى شكلاً ولكنها لا تحسب ضمن الترتيب مثل (الرازي) ترتب في حرف الراء (ر)، والسيوطي ترتيب في حرف السين (س) وهكذا.

أما إذا كانت (الـ) من أصل الاسم ولا تعد (ألـ) التعريف، فأنها تحسب في الترتيب الهجائي مثل: البرت، الكسندر، وإذا وقعت الالف واللام الخاصة بالتعريف في وسط الاسم، فأنها تدخل ضمن الترتيب الهجائي مثل: عبد الستار، عبد القوي، عبد الستار تسبق عبده.

ب – لا تدخل الألقاب في الترتيب الهجائي للأسماء مثل الدكتور، المهندس، الأستاذ.

ج – لا تدخل كلمة ابن او بن في الترتيب الهجائي، ويقترح بعضهم دخولها إذا جاءت في اول الصورة مثل: ابن الأثير، ابن الجوزي، ابن خلدون.

د – تحتسب كلمة أبو ضمن الترتيب الهجائي مثل: ابو بكر، ابو العلاء.

هـ – الأسماء المركبة من مضاف ومضاف إليه، أو من فعل وفاعل، تعامل كأنها كلمة واحدة مثل سيف النصر – بنت الشاطئ – شيخ الأرض – علم الدين – العارف بالله – جاب الله – جاد الله.

و تعد الهمزة التي على الألف الفاً، والهمزة على الواو تعد واواً، والهمزة على الياء تعد ياءً.

مثل: مبدأ، فؤاد، وائل، فائزة.

أما الهمزة المفردة تعامل على انها الفاً، كما انها تسبق الألف في الترتيب.

مثل: وفاء، ثناء، علاء، شفاء.

ز – إذا كان للمؤلف أكثر من كتاب ترتب الكتب في ثبت المصادر حسب عناوين الكتب ويتبع الترتيب الهجائي في تسلسلها.

ح – الأسماء التي ترد في أكثر من شكل توضع في الفهرس حسب الشكل الشائع وعند ورودها بشكل آخر توضع في الفهرس حسب الشكل الجديد ويحال القارئ الى مكانها في شكلها الشائع مثل: القدس (بيت المقدس) بغداد (مدينة السلام).

توضع القدس تحت حرف القاف، وبغداد تحت حرف الباء، لأن هذا شكلها الشائع، وتوضع إزائهما الصفحات التي وردا فيها، وعندما يرد الإسم الثاني للمدينتين توضع بيت المقدس تحت حرف الباء، ومدينة السلام تحت حرف الميم، وتوضع إزاء كل عبارة منهما عبارة (راجع المقدس)، و (راجع بغداد)، ومثل ذلك ابو نؤاس الذي يوضع تحت حرف الألف في شكله الشائع، وعندما يرد اسمه بشكله الثاني (الحسن بن هاني) توضع إزاءه عبارة (راجع ابو نؤاس).

ثانياً: من المؤلفين من لا يدخل في الفهارس إلا مواد المتن مهملاً بذلك ما يرد في الذيل من أعلام ومواد أخرى، ومنهم من يعامل مواد الحواشي معاملة المتن، والمنهج الثاني أكثر فائدة، وتتم الفائدة عندما تضع الحرف (هـ)، و(ح) بعد الكلمة المدرجة في الفهرست، وتعني (هـ) الهامش، و(ح)الحاشية، وكل واحد منهما يفي بالغرض.

ثالثاً: يختص البحث عادة بموضوع واحد، وهذا يعني ان اسم الموضوع علما كان او مصطلحاً يتكرر كثيراً لذا يفضل بأن لا يضع الطالب ذلك العلم، او تلك المادة في الفهرس. يضاف الى ذلك ان مصطلحات، أو أسماء مشهورة تتكرر كثيراً في البحث، فلا داعي أيضاً لوضعها في الفهرس.

وقد جريت على ذكر ذلك الاسم أو المصطلح عند وروده لأول مرة مع ذكر الصفحة التي ورد فيها واضع إزاءه عبارة (حيثما ورد)، وتعني إن الاسم أو المصطلح المذكور يعني المعنى نفسه في كل مكان ورد فيه على صفحات الكتاب.

رابعاً: إذا اتحد إسمان أو أكثر في الصورة ينظر إلى أسماء الآباء مثل: الحسن بن علي بن فضال، الحسن بن علي القمي، الحسن بن علي الوشاء.

خامساً: تسقط إبن، أو أبنة، أو أبو إذا جاءت بين علمين، ويتم التوالي على حروف العلم الذي يأتي بعدها.

سادساً: من المؤلفين من يجعل عبد الله حالة خاصة، ولا يحسب الألف واللام عند التسلسل الهجائي إنما يعامله على أساس ع، ب، د، ل، وعلى هذا يورده بعد عبد الرزاق، وقبل عبد المطلب، ومنهم من يعد الألف واللام أصلية.

سابعاً: ذكر الدكتور الطاهر في معرض كلامه عن فهرس القوافي أن عبد السلام هارون يقول على الفهرس المذكور ما يأتي: (أقل صورة لترتيبه أن يرتب على القوافي من الهمزة الى الياء، ثم الألف اللينة في آخرها، ثم ترتيب كل قافية على أربعة أقسام: الساكنة، ثم المفتوحة، ثم المضمومة، ثم المكسورة، ويضاف آخر كل قسم من هذه الأقسام ما يمكن أن يختم بالهاء الساكنة ثم المضمومة، ثم المفتوحة، ثم المكسورة أما أنا: فأجعل ترتيب كل مجموعة من القوافي على النسق التالي: فعل، مفعل، فاعل، فعال، وأفعال، فعول، وفعيل: مثال: أهل، المعول، سبل، عواذل، الخيال، وأمثال، تقول، وسليل)[1].

ثامناً: إذا ورد اسم في الكتاب غير كامل نثبته في الفهرس كما ورد، ونثبت الصفحة التي ورد فيها إزاءه، ثم نحاول أن نسد النقص الموجود في ذلك الاسم، فإن وجدنا

(١) منهج البحث الأدبي: ص١٣٥.

معلومات عنه أثبتناها بين قوسين بعد الاسم، وإن كان الاسم مجهولاً أثبتنا كلمة فلان بعد الاسم بين قوسين ايضاً: إبن أبي حازم (فلان) ٤٥ إبن أبي عمير (فلان) ١٨٣ .

هذا في حالة جهالتنا للاسم أما في حالة وجود معلومات عنه نقول: ابن المنجم (هو ابو الحسن علي بن يحيى) ١٨٠، الأشعث (هو الأشعث بن قيس الكوفي) ١٠٠ .

تاسعاً: يفضل إثبات أسماء الأعلام العربية في فهارس الأعلام طبقاً لنظام الأسماء في اللغة العربية، ولا يستحسن اتباع الطريقة الغربية في ذلك مثل: الحسين بن الحجاج، الحسين بن الخلال، الحسين بن روح، الحسين بن عبد الله وهكذا.

فهرس المصادر والمراجع

يطلق على هذا النوع من الفهارس، أحياناً، إسم ثبت المصادر (Bibliography): وهو عبارة عن قائمة تحتوي المصادر والمراجع التي أفاد منها الباحث في كتابه، وسبق أن بيّنّا عند كلامنا عن المصادر والمراجع انها تقسم الى مخطوطات، وكتب مطبوعة، ومواد في دائرة معارف، ومقالات في جرائد أو مجلات.

وتفضل الغالبية العظمى من المؤلفين الفصل بين مؤلفي المصادر القدامى، ومؤلفي المراجع المحدثين، كما تفضل الفصل بين المخطوط والمطبوع من المواد، بينما تفضل الفئة الثانية درج المصادر مخطوطها ومطبوعها، وكذلك المراجع بأصنافها في فهرس واحد.

ونرجع رأي الجماعة الأولى لأسباب أشرنا إلى طائفة منها في موضعه من هذا الكتاب.

وفي الفهرس يكتب الطالب ما اشتهر به المؤلف، ويضع بعد فاصلة أو خط قصير اسمه الكامل مجرداً من الكنى والنسب على أن لا يؤدي حذفهما إلى لبس في إسم المؤلف، ثم تاريخ وفاته بين قوسين، ثم بعد نقطة او نقطتين تضع إسم الكتاب كاملاً منتهياً بنقطة، ثم إسم المحقق (إن وجد، وإن استحق الذكر)، ثم فاصلة، ثم الجزء إن وجد، ثم مكان الطبع وزمانه (بين قوسين على الأفضل)، ثم تختم كل ذلك بنقطة، ومن الكتّاب من يجعل المؤلف والمعلومات المتعلقة به في سطر، ثم عنوان الكتاب، وما يتعلق بالكتاب نفسه بسطر آخر يكون في أسفل السطر الأول، ويبدأ من منتصفه تقريباً يلي ذلك المصدر الثاني: إسم المؤلف، إسم الكتاب، ثم بقية المعلومات كما ذكر في أعلاه، ويفضل أن يرتب

مؤلفو المصادر حسب الطريقة الزمنية - حسب سنوات الوفاة - الأقدم فالأقدم، ويرى بعض المؤلفين ترتيب أسماء المؤلفين على الحروف الهجائية أو الأبجدية، ولكننا لا نقر ذلك في حالة مؤلفي المصادر، ونرى أن يقتصر الترتيب الهجائي على مؤلفي المراجع المحدثين فقط. ووجد بين المؤلفين من يعمل الفهرست على الحروف الهجائية لأسماء الكتب، ويدرج المخطوطات مع المطبوعات، والمجلات مع الكتب، ونرجح استعمال الطريقة التي وصفناها لأنها أكثر شيوعاً من جهة، ولأنها تقود الى التوحيد في المناهج، هذا فضلاً عن أنها تساعد على إبراز المصادر، وهي أولى بالتقديم وبالاهتمام من غيرها من المواد التي استعملت في البحث.

الملحق الأول
أصول نقد النصوص ونشرها

استهدفنا من كتابة هذا الملحق تزويد الطلبة المبتدئين بمعلومات مقتضبة ومبسطة في الوقت نفسه عن قواعد تحقيق المخطوطات ونشرها. أما التفصيلات والمعلومات المنظمة والمتعلقة بأصول نقد النصوص ونشرها، فيجدها الباحثون في مظانها[١].

ويرى البكري: (ان نقد النصوص القديمة من شعر وغيره علم من جهة، وصناعة، واصطلاح من جهة أُخرى)[٢].

وعالج برجسترانسر موضوع نقد النصوص ونشرها في كتابه المشار إليه في الهامش في ثلاثة أبواب: الباب الأول: في النسخ، والثاني: في النص، والثالث: في العمل والاصطلاح.

---

(1)Souvaget , J , et Blachere R., Regles Pour edition et traduction des texts Arabes (Paris , 1945) 1. ollomp , P., La Critique des texts (Paris , 1931) ؛ براجسترانسر، اصول نقد النصوص ونشر الكتب، نشر الدكتور محمد حمدي البكري، (القاهرة، ١٩٦٩م)؛ هارون، عبد السلام، تحقيق النصوص ونشرها (القاهرة، ١٩٥٤م) ؛ المنجد صلاح الدين، قواعد تحقيق النصوص (بيروت، ١٩٧٠م).

(٢) ابن الصلاح، المقدمة : ص١١.

أولاً: النسخ: يرى برجسترانسر: (إن اقدار النسخ الخطية لكتاب ما متفاوتة جداً ؛ فمنها ما لا قيمة له أصلاً في تصحيح نص الكتاب، ومنها ما يعول عليه ويوثق به، ووظيفة الناقد أن يقدر قيمة كل نسخة من النسخ، ويفاضل بينها وبين سائر نسخ الكتاب متبعاً في ذلك قواعد منها:

١ : إن النسخ الكاملة أفضل من النسخ الناقصة.

٢ : الواضحة أحسن من غير الواضحة.

٣: القديمة أفضل من الحديثة.

٤ : النسخ التي قوبلت بغيرها أحسن من التي لم تقابل.

الى غير ذلك، والقاعدتان الأخيرتان أهم من غيرهما فإن النسخة التي قيست بغيرها نفيسة وقيمة. وقد أشار برجسترانسر الى أن للقواعد التي ذكرها في أعلاه شواذاً [1].

ويقول عبد السلام هارون عند كلامه عن اصول النصوص: إن (أعلى النصوص هي المخطوطات التي وصلت إلينا حاملة عنوان الكتاب، وإسم مؤلفه، وجميع مادة الكتاب على آخر صورة رسمها المؤلف وكتبها بنفسه، أو قد يكون قد أشار بكتابتها، أو املأها، أو أجازها، ويكون في النسخة مع ذلك ما يفيد اطلاعه عليها، أو اقراره لها)[2]، وأمثال هذه النسخ تسمى نسخة الأم.

وينبه هارون الى ما يوقع المحقق في خطأ جسيم، وهو: أن بعض الغافلين من الناسخين قد ينقل عبارة المؤلف في آخر كتابه، وهي في العادة نحو (وكتب فلان) اي المؤلف، ثم لا يذكر الناسخ ما يشعر بنقله عن نسخة الأصل، فيظن القارئ انها هي نسخة

---

(١) نفس المصدر: ص١٤.

(٢) ابن الصلاح، المقدمه : ص٢٣.

المؤلف، وهذه مشكلة تحتاج الى فطنة المحقق وخبرته بالخط [١]، والتاريخ، ومن الجدير بالذكر إن عبارات أُخرى غير ما ذكره الأُستاذ هارون توجد أحياناً في آخر المخطوطات من شأنها أن تؤدي الى اللبس بين إسم المؤلف والناسخ، ومن بين تلك العبارات عبارة (ألفها)، وحدث مرة أن عثرتُ على مخطوط مجهول المؤلف وموسوم بـ (آداب المتعلمين) في مكتبة الشيخ محمد علي النجف آبادي في النجف الأشرف، وعندما بحثت عن عنوان الكتاب المذكور في كتاب الذريعة للشيخ أغا بزرك الطهراني وجدت على الصفحة (٢٨) من الجزء الأول العنوان نفسه، وبجنبه اسم مؤلفه وهو نصير الدين الطوسي. يضاف الى ما سبق، وجدت أن كتاباً يحمل العنوان نفسه - آداب المتعلمين - كان قد طبع ضمن مجموعة عرفت بـ (جامع المقدمات)[٢]، ولكن الكتاب المذكور كان مجهول المؤلف في المجموعة الآنفة الذكر، وعندما قارنت بين المخطوط والمطبوع وجدت فوارق طفيفة بينهما.

---

(١) علم قراءة الخطوط (Plaeography) من العلوم السياسية لدراسة نواح كثيرة من التاريخ، وتوجد أنواع مختلفة من الخطوط الشرقية. ومن الخطوط العربية:

أ – الطومار: نسبة الى قلم الطومار.

ب – الغبار: وسمي الغبار لدقته.

ج – النسخى.

د – الرقعة .

هـ – الثلث.

و – الكوفي.

ز – الفارسي.

ح – القيرمة: من قيرمق التركية بمعنى الثني والتكسير.

ط – الديواني: وهو من الخطوط العثمانية.

(٢) طبع الكتاب المذكور بمطبعة خورشيد بإيران في سنة ١٣٦٦ هـ.

وبعد أن فحصت المخطوطة، وجدت أنها مذيلة بإسم ناسخها (غنام الحاج سالم الحويزي) الذي كتب بجنب اسمه أنه (ألفها بنفسه ولنفسه)، ولما كانت النسختان (المخطوطة والمطبوعة) خاليتين من اسم المؤلف المفترض وهو نصير الدين الطوسي، وأن المخطوطة تحوي عبارة (الفها)[١]، اتجهت الى الشك في نسبة الكتاب المذكور الى الطوسي، وقد أخبرت المرحوم الشيخ اغا بزرك في مقابلة شخصية بوجهة نظري فقال: انه لم يجزم بنسبة الكتاب الى الطوسي، وأنه في ضوء الملاحظات التي ابديتها أصبح يميل الى أن المؤلف ربما كان الحويزي نفسه.

ومن الجدير بالذكر أن تحقيق اسم مؤلف المخطوط من الأمور الضرورية التي يجب أن يوليها الناشر كبير اهتمامه، ولا يكفي أن نجد إسم مؤلف الكتاب في ظاهر النسخة، أو النسخ لنحكم بان المخطوط من مؤلفات صاحب الإسم المثبت، بل لا بد من إجراء تحقيق علمي يطمئن معه الباحث الى أن الكتاب نفسه صادق النسبة الى مؤلفه.

وتلي نسخة الأم حسب رأى هارون النسخة المأخوذة منها، ثم فرعها، ثم فرع فرعها وهكذا.

ويرى هارون: إن هذا الضرب الثاني من المخطوطات يعد اصولاً ثانوية إن وجد معها الأصل الأول، وأما إذا عُدِمَ الأصل الأول فأن أوثق هذه المخطوطات يرتقى الى مرتبته، ثم يليه ما هو أقل منه وثاقاً[٢].

---

(١) وردت العبارة المذكورة على الصفحة الثامنة أي في نهاية المخطوط.

(2) ينظر: Souvaget , J , et Blachere R., Regles Pour edition et traduction des texts Arabes (Paris , 1945 ,) ollomp , P., La Critique des texts (Paris , 1931 ؛

براجسترانسر، اصول نقد النصوص ونشر الكتب، نشر الدكتور محمد حمدي البكري، (القاهرة، ١٩٦٩م)؛ هارون، عبد السلام، تحقيق النصوص ونشرها (القاهرة، ١٩٥٤م) ؛ المنجد صلاح الدين، قواعد

ومن الجدير بالذكر: أن المصورات من النسخ هي بمنزلة أصلها ما كانت الصورة واضحة تامة تؤدي أصلها كل الاداء، فمصورة النسخة الأولى هي نسخة اولى، ومصورة الثانوية هي ثانوية ايضاً وهكذا [1].

أما قضية جمع الأصول فهي قضية ذات أهمية كبيرة، وليس من السهولة بمكان أن نعثر على جميع المخطوطات التي تخص كتاباً واحداً إلا على وجه تقريبي، وكل ما يستطيع المحقق أن يعمله هو البحث في فهارس المكتبات العامة، وكتاب الفيكونت فيليب دي طرازي الموسوم بـ (خزائن الكتب العربية في الخافقين) يشير الى ان المكتبات العامة يناهز عددها الفاً وخمسمائة مكتبة، وأما المكتبات الخاصة فحصرها أمر لا يتيسر للباحث مهما أجهد نفسه.

وكتاب بروكلمان في تاريخ آداب اللغة العربية يعد من أهم المراجع التي عنيت بالدلالة على مواضيع المخطوطات، وكذلك كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان، وكذلك كتاب الذريعة الى تصانيف الشيعة للشيخ اغا بزرك الطهراني، وهناك فهارس تلي الكتب المذكورة آنفاً منها فهرس مكتبة الإمام الرضا ﷺ في مدينة مشهد بإيران، وفهرس مكتبة الأوقاف في العراق، وفهرس مكتبة آية الله الحكيم في النجف الأشرف، وفهرس مكتبة امير المؤمنين العامة في النجف الأشرف، وفهرست المخطوطات الشرقية في مكتبة غوتا في ألمانيا الشرقية لمؤلفه ولهلم بيرتش، ويقع في خمسة مجلدات.

ثانياً: في النص: إن أهم ما يستهدفه الناشر حين يتصدى لنشر مخطوطه من المخطوطات هو الوصول الى تثبيت النص على الصورة التي أرادها مؤلف الكتاب.

تحقيق النصوص (بيروت، ١٩٧٠م) ص٢٤.

(١) نفس المصدر: ص٢٦.

لذا وجب عليه أن يسلك جميع السبل التي توصله لتلك الغاية. إن بحث الناشر عن النسخ المخطوطة لكتاب ما، واجتهاده في الحصول على النسخة الأم او النسخة التي هي فرع منها في حالة تعذر وجودها، كما بينا في الفقرة السابقة، أو بحثه عن النسخة الأقدم تاريخياً، والأكثر ضبطاً، والأوضح نصاً كل ذلك لا يكفي لتحقيق الغاية الأساسية من النشر الصحيح وهو الوصول الى تقويم نص المخطوط وعرضه بالشكل الذي أراده مؤلفه. لذا وجب على الناشر أن يتقدم الى الخطوة التالية لما بسطناه في الفقرة الأولى، وهي قراءة النص قراءة صحيحة، ويكون نقد النص من بين الوسائل التي تمكنه من ذلك.

ويعد برجسترانسر النقد: وسيلة الى القراءة الصحيحة، وانه لا نقد إلا بعد فهم، وإننا لم نفهم النص فكيف يمكننا التمييز بين الصحيح وغير الصحيح، ويقول براجسترنسر أيضاً: ان الشروح في الشعر القديم والكتب العلمية تساعدنا على فهم النص، ولكنه ينصحنا في عدم الإعتماد على ما يقوله الشارح بل يجب أن ننقد قول الشارح كما ننقد النص نفسه لأن الشراح ليسوا منزهين عن الخطأ وبخاصة في الشعر، وعلاوة على ذلك فكثير مما نجده في الشروح لم يصنفه مؤلف مشهور، بل جمعه كتّاب النسخ من مصادر شتى، وبعضه نافع، وبعضه لا فائدة فيه، وبعضه يدور على جمع المفردات، ولا يلتفت الى ارتباط الكلمات بعضها ببعض مع أنه قد يخطئ في اشتقاق الكلمة الواحدة. ويضرب الكاتب أمثلة على خطأ طائفة من الناشرين وبينهم المستشرق الألماني نولدكه. ثم يقول: نجد في كثير من دواوين الشعر، وكتب الأدب روايات نثرية تبحث في الحوادث التي قيل فيها الشعر، وينبغي أن ينقد الناقد تلك الروايات نقداً قاسياً لأن بعضها مأخوذ من الشعر نفسه، وبعضها مستقل، وقد يختلف عن الشعر حتى أنه قد يروي في بعض الأحيان قصة لا علاقة بينها وبين الشعر على الإطلاق، ويذهب الكاتب نفسه الى أن الفهم مبنيٌّ على شرطين:

أولاً: معرفة المادة التي يبحث فيها الكاتب.

ثانياً: معرفة اللغة والاسلوب.

ويشترط في الناشر الذي يتصدى لنشر كتاب في الطب أن يكون متعمقاً بعلم الطب وبتاريخه. والأمر مثل ذلك في كل الكتب حتى الشعر[1].

ويرى هارون في معرض كلامه عن تحقيق متن الكتاب إنَّ على الناشر أنْ يحقق المتن حتى يظهر بقدر الإمكان مقارباً لنص مؤلفه، ثم يقول: (وبديهيٌ إن وجود نسخة المؤلف - وهو أمر نادر لا سيما في كتب القرون الأربعة الأولى - لا يحوجنا الى مجهود بالقدر الذي نتمكن به من حسن قراءة النص)[2].

ان في رأي هارون آنف الذكر تبسيطاً لعملية النشر لا يقبله أهل هذه الصناعة لأن حسن قراءة النص لا يكفي لتقويم ذلك النص، بل ان النقد العميق لنص المخطوطة الذي نصح برجسترانسر قبل قليل الناشر بالقيام به، واشتراطه توفر اختصاص ذلك الناشر بالمادة التي يتصدى لنشرها أمران ضروريان لعملية النشر التي هي عملية تستند على أصول وقواعد لا يمكن إغفالها.

ويمكن أنْ نلخص المشكلات التي تعترض الناشر عند تثبيته للنص:

---

(1) ينظر: (Souvaget , J , et Blachere R., Regles Pour edition et traduction des texts Arabes Paris , 1945 ,) ollomp , P., La Critique des texts (Paris , 1931 ؛ برا جسترانسر، اصول نقد النصوص ونشر الكتب، نشر الدكتور محمد حمدي البكري، (القاهرة، ١٩٦٩م)؛ هارون، عبد السلام، تحقيق النصوص ونشرها (القاهرة، ١٩٥٤م) ؛ المنجد صلاح الدين، قواعد تحقيق النصوص (بيروت، ١٩٧٠م): ص٤٨ -٤٩.

(٢) نفس المصدر: ص٣٣.

أولاً: التنقيط: إنّ التنقيط أشدّ احتياجاً من غيره الى الاستعانة بكل وسائل النقد والتصحيح والثقة في النقط أقل من الثقة في الحروف، فإن خطأ النقط أكثر من خطأ التصحيف[1]، ومعلوم أنّ التصحيف أخطر من التحريف٢، ودرس لغة المؤلف وأسلوبه يعين على إصلاح التصحيف كما يعين على إصلاح التحريف.

ثانيا: إصلاح التشكيل.

ثالثاً: أخطاء النساخ: قد يسقط الناسخ الحروف كالواو، أو الكلمات وخاصة القصيرة منها مثل: فيه أو له، وقد يسقط أكثر من كلمة واحدة.

رابعاً: الأخطاء في النحو والإملاء.

---

(١) و٣. ينقل عبد السلام هارون (تحقيق النصوص، ٥١) النص التالي عن ابن حجر: (إن كانت المخالفة بتغيير حرف أو حروف مع بقاء صورة الخط في السياق، فإن كان ذلك بالنسبة الى النقط فالمُصَحَّف، وإن كان بالنسبة الى الشكل فالمُحَرَّف). فهو يجعل التصحيف خاصاً باللبس في نقط الحروف المتشابهة في الشكل كالباء والتاء والثاء، فإن صور تلك الحروف واحدة ولا يفرق بعضها عن بعض في الكتابة الحديثة إلا النقط ومقدارها وأما التحريف فهو خاص بتغيير شكل الحروف ورسمها كالدال والراء والدال واللام، والنون والزاي في الحروف المتقاربة الصورة والميم والقاف، واللام والعين في الحروف المتباعدة الصورة.

ومن الأمثلة على ذلك: صَحَّفَ أحدهم في الحديث فقال: (صلاة في اثر صلاة كتاب في عليين) فقال: (كناز في غلس) وصحف آخر (يا ابا عمير ما فعل النغير) فقال: (ما فعل البعير). وقال أحدهم: (وجعل السفينة في رجل أخيه).

الملحق الثاني

العلامات والرموز عند المؤلفين المسلمين

ترد كثير من الأحيان في النصوص الفاظ وجمل واسماء تعاد كثيراً، كمثل الصلاة على النبي، والسلام على الأئمة المعصومين، والترحم بعد ذكر المتوفي، والترضي عن الصحابة والعلماء المشهورين، والفاظ التحديث، والأخبار والأنباء في إسناد الحديث.

وقد جرى كثير من الأقدمين على اختصار بعض الألفاظ، كما جروا على اختصار أسماء بعض الكتب وبخاصة كتب الرجال المشهورة، وعلى اختصار أسماء الأئمة المعصومين المروى عنهم، وعلى أسماء المحدثين المشهورين، والرمز إليها بحرف أو حرفين أو أكثر. وسنورد في هذا الملحق طائفة من الأمثلة عن الرموز لتساعد الطلبة على الاعتياد عليها، وقد جرى بعض المؤلفين، وبخاصة أصحاب كتب الحديث، على ذكر طريقتهم في اختصار الأسماء والألفاظ والاستعاضة عنها بالرموز وذلك في مقدمة كتبهم عادة، لذا يحسن بالطلاب أن يقرأوا مقدمة الكتاب ليفهموا معنى الرموز التي استعملها المؤلفون. ومن الأسباب التي دفعت المحدثين خاصة لاستعمال الرموز كثرة تكرار تلك الألفاظ والأسماء المستعاض عنها بالرموز، ولو أبقوا تلك الأسماء والألفاظ على حالها لتضاعف حجم الكتاب أو في الأقل يزيد زيادة كبيرة.

فابن الأثير (ت٦٣٠هـ) مثلاً يقول: إنه اعتمد في تأليف كتابه الموسوم بـ (أُسد الغابة في معرفة الصحابة)[1] على عدة محدثين، ومن أشهرهم: الحافظان أبو عبد الله بن

(١) طبع الكتاب المذكور بالأفست في طهران دون ذكر تاريخ الطبع.

منده وأبو نعيم الأصفهانيان، وأبو عمر بن عبد البر القرطبي، والحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى الأصفهاني، ثم يذكر ابن الأثير طريقته في وضع كتابه، وكيف استعمل الرموز عوضاً عن الأسماء فيقول: (إني جمعت من هذه الكتب كما ذكرته قبل وعلَّمْتُ على الإسم علامة ابن منده صورة [د]، وعلامة ابي نعيم [ع]، وعلامة ابن عبد البر صورة [ب]، وعلامة أبي موسى[س]، فإن كان الاسم عند الجميع علَّمْتُ عليه جميع العلائم، وإن كان عند بعضهم علَّمْتُ عليه علامته..[١].

أما تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلي - من علماء القرن السابع الهجري - فيقول: انه عند تأليفه لكتابه الموسوم بـ (الرجال)[٢]، ضمَّنه رموزاً تغني عن التطويل، وتنوب عن الكثير بالقليل، وبينت فيها المظان التي أُخذت منها واستخرجت عنها، فالكشي: كش[٣]، والنجاشي: جش[٤]، وكتاب الرجال للشيخ[٥]: جخ[٦]، والفهرست[٧]: ست، والبرقي: قي[٨]، وعلي بن أحمد العقيقي: عق، وابن عقدة: قد، والفضل بن شاذان:

(١) ابن الأثير، اسد الغابة في معرفة الصحابة: ج١: ص٣ وما بعدها.

(٢) طبع الكتاب المذكور بطهران في سنة ١٣٤٢ هـ.

(٣) الكشي، محمد بن عمر، الرجال (بمبي، ١٣١٧ هـ).

(٤) النجاشي، أحمد بن علي، الرجال (طهران، د. ت).

(٥) عندما ترد كلمة الشيخ مجردة يقصد بها الشيعة الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت، ٤٦٠ هـ) المعروف بشيخ الطائفة.

(٦) الطوسي، محمد بن الحسن، الرجال (النجف، ١٩٦١م).

(٧) الطوسي، محمد بن الحسن، (النجف، ١٩٣٧م).

(٨) البرقي، أحمد بن ابي عبد الله، الرجال (طهران، ١٣٤٢هـ).

فش، وابن عبدون: عب، والغضائري: غض، ومحمد بن بابويه: يه، وابن فضال[١]: فض، وبينتُ رجال النبي والأئمة عليهم السلام فكل من أعلمت عليه برموز واحد منهم فهو من رجاله، ومن روى عن أكثر من واحد ذكرت الرمز بعددهم، فالرسول صلى الله عليه وآله: ل، وعلي عليه السلام: ي، والحسن عليه السلام: ن، والحسين عليه السلام: سين، وعلي بن الحسين عليه السلام: ين، ومحمد بن علي الباقر عليه السلام: قر، وجعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ق، وموسى بن جعفر عليه السلام: ظم، وعلي بن موسى الرضا عليه السلام: ضا، ومحمد بن علي الجواد عليه السلام: د، وعلي بن محمد الهادي عليه السلام: دي، والحسن بن علي العسكري عليه السلام: كر، ومن لم يرو عن واحد منهم: لم[٢].

أما السيد مصطفى التفرشي فانه استعمل الرموز التي استعملها ابن داود الحلي مع إجراء تغييرات طفيفة في كتابه الموسوم بـ (نقد الرجال) [٣] المؤلف سنة ١٠١٥ هـ.

وكان من بين تلك التغييرات أن استعمل للإمام موسى الكاظم عليه السلام: رمز (م)، بينما استعمل ابن داود رمز (ظم)، كما أنه وضع رموزاً لكتب لم يستعملها ابن داود رغم أن مؤلفيها سبقوا عصره. ومن أمثلة ذلك الرمز (ب)[٤] الذي استعمله التفرشي لابن شهر اشوب (ت ٥٨٨ هـ) بينما لم يشر ابن داود الى ابن شهر اشوب مع أنه توفي قبله بمائة عام تقريباً.

يضاف إلى ذلك أن التفرشي استعمل رمز (د) للدلالة على الإمام الجواد عليه السلام، وللدلالة على ابن داود في الوقت نفسه، وكان الأفضل أن يثبت ما يدل على الفرق بينهما خوفاً من اللبس.

---

(١) ينظر: تراجم هؤلاء في كتب الرجال والأعلام.

(٢) ابن داود الحلي، الرجال: ص٣ – ٤.

(٣) طبع الكتاب المذكور بطهران في سنة ١٣١٨ هـ.

(٤) التفرشي، نقد الرجال: ص٣.

وإليك طائفة من الأمثلة على بعض الرموز المستعملة في كتب السلف:

سورة مكية = ك

رحمه الله = (ر) رحه

سورة مدنية = م

تعالى = تع

رضى الله عنه = (ر) رضه

الى آخره = الخ

انتهى = اهـ

حدثنا = ثنا

أخبرنا = أنا

أنبأنا = أنبا

الخلاصة في علم الرجال للحلي = صه

وقد يجد الطالب رموزاً غير ما ذكر فالنقطة مثلاً كانت ترسم مجوفة هكذا (ه)، وكان يضعها الناسخ قديماً لتفصل بين الأحاديث النبوية، وكان قارئ النسخة على الشيخ او معارضها على النسخ يضع نقطة أخرى مصمته داخل هذه الدائرة (ه) ليدل بذلك على انه انتهى في مراجعته الى هذا الموضع.

وبعد أن قطعنا أيها الطالب معاً مرحلة من مراحل الاعداد للبحث العلمي المنظم، وقرأت ما زودتك به من معلومات مقتضبة ومبسطة حول قواعد أصول البحث التاريخي نرجو أن تكون قد استفدت مما قدم لك، وأنْ تكون قد وضعت اللبنة الأولى في بناء معرفتك في أصول البحث، كما نرجو أن تتم ذلك البناء ليصبح شامخاً في يوم ما وذلك عن طريق التتبع والمثابرة والتواضع للعلم والعلماء، والله في عونك والسلام.

المصادر

- ابو مخنف (المنسوب) لوط بن يحيى (ب: ١٥٧هـ)
١. في مقتل الإمام الحسين (النجف، ١٣٤٧ هـ).
- الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠ هـ)
٢. تاريخ الرسل والملوك، ج١ (القاهرة، ١٩٣٨ م).
- مسكويه، أحمد بن محمد (ت: ٤٢١ هـ)
٣. تجارب الأمم، ج١ (ليدن: ١٩٠٩م).
- ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت: ٤٣٨ هـ)
٤. الفهرست، تح: فلوغل (ليبزغ، ١٨٧١ م).
- البيروني، محمد بن أحمد (ت: ٤٤٠ هـ)
٥. الآثار الباقية عن القرون الخالية. تح: ساخو (ليبزغ: ١٩٢٣ م).
- النجاشي، احمد بن علي (ت: ٤٥٠ هـ)
٦. الرجال (طهران: د، ت).
- ابن الجوزي، عبد الرحمن (ت: ٥٩٧ هـ)
٧. المنتظم، ج٦ (حيدر آباد الدكن: ١٣٥٧هـ).
- ابن الأثير، علي بن ابي الكرم (ت: ٣٦٠ هـ)
٨. الكامل (القاهرة: ١٢٩٠ هـ).
- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن (ت: ٦٤٣ هـ)
٩. المقدمة (حلب: ١٩٣١ م).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: ٦٤٣ هـ)
١٠. اختصار علوم الحديث (القاهرة: ١٩٥١م).

- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت: ٨٠٨ هـ)
١١. المقدمة (القاهرة: ١٣٢٦هـ).
- ابن جماعة، محمد بن إبراهيم (ت: ٨١٩ هـ)
١٢. التذكرة (حيدر آباد الدكن، ١٣٥٣هـ).
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت: ٩٠٢ هـ)
١٣. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (القاهرة: ١٣٤٩ هـ).
- الشهيد الثاني، زين الدين العاملي (ت: ٩٦٥هـ)
١٤. الدراية في علم مصطلح الحديث (النجف: د، ت).
- القرماني، أحمد (ت: ١٠١٩هـ)
١٥. أخبار الدول، طبع على هامش الجزء الأول للكامل لابن الأثير.
- البهائي، محمد بن الحسين (ت: ١٠٣١هـ)
١٦. الوجيزة في الدراية – ضمن مجموعة رسالة عين الميزان
تح: محمد حسين كاشف الغطاء (صيدا: ١٣٣٠ هـ).

المراجع العربية

١. البستاني، فؤاد أفرام، الشعر الجاهلي (بيروت: ١٩٤٩ م).
٢. الحوفي، احمد، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، ج١، (القاهرة: ١٩٤٩ م).
٣. الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول (بغداد: ١٩٤٥م)
٤. مقدمة في تاريخ صدر الإسلام (بغداد: ١٩٤٩ م).
٥. الدوري، عبد العزيز وآخرون، تفسير التاريخ (بغداد: د، ت).
٦. روزنثال، فرنز، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي – ترجمة أنيس فريحة

(بيروت: ١٩٥٩ م).
٧. زريق، قسطنطين، نحن والتاريخ (بيروت، ١٩٥٩م).
٨. شلبي، احمد، كيف تكتب بحثاً أو رسالة (القاهرة: ١٩٥٤م).
٩. الطاهر، علي جواد، منهج البحث الأدبي (بغداد، ١٩٧٠ م).
١٠. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١ (بيروت: ١٩٦٨ م).
١١. فلها وزن، يوليوس، الدولة العربية وسقوطها – ترجمة عبد الهادي أبو ريدة (القاهرة: ١٩٥٨م).
١٢. الفياض، عبد الله، الإجازات العلمية عند المسلمين (بغداد: ١٩٦٧ م).
١٣. القاسمي، جمال الدين، قواعد التحديث (دمشق: ١٩٢٥ م).
١٤. القمي، عباس، الكنى والألقاب، ج١، (النجف: ١٩٥٦ م).
١٥. مرغوليوث، د. س، دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسين نصار (بيروت: د، ت).
١٦. هورس، جوزف، قيمة التاريخ – ترجمة نسيب الخازن (بيروت: ١٩٦٤م).
١٧. هورنشو، علم التاريخ، تر: عبد الحميد العبادي (القاهرة: ١٩٣٧ م).

المراجع الأجنبية

1. Bernheim , E., Lehrbueh der Historichen Methode and der Geschitsphilosophie (Leipzig , 1908).

2. Kent , S., Writing History , (New York , 1941).

3. Lichtenstader, I., (Arabic and Iskamic Historiography) The Moskem World , April , 1954.

4. Shotwell , J , T., (History) , Encyclopaedia Britannica , II.

5. Shotwell , J , T., The History of History (New York , 1950).

مراجع نافعة

١. حسين، محمد أحمد، الوثائق التاريخية، (القاهرة: ١٩٥٥م).

٢. الدوري، عبد العزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (بيروت: ١٩٦٠ م).

المحتويات